مؤيد عبد القادر

من وطن القباب الزرق
الحكيم عبد الهادي . . . مسيرة حياة

سيرة حياة

الإهداء

إلى وطن من ورد ومحبة وشموخ ورفعة وتاريخ ناصع..

وإلى علامته الكبير الذي كان وراء فكرة تأليف هذا السفر، الراحل العزيز، المفكر العربي، أستاذ الجيل، الدكتور حسين علي محفوظ ..

وفاءً له، واعترافاً بنصاعة ما غرست يداه النظيفتان.

مؤيد

لست ممن يتوهمون بأن الكتابة عن عالم بحجم المفكر والطبيب عبد الهادي الخليلي تدخل في اطار العواطف المجردة ، ذلك لأنني ، ومنذ زمن طويل نسبيا ، اتملى شخصيات فذة مثل الخليلي ، تحيط بزمننا الحاضر وتلونه بألوان زاهية فابحث بجدية و(حماسة)عن ذلك الكم الهائل الذي انتج هذه الشخصيات وجعلها تتبوأ مواقع مهمة في حركة التأثير ، وتفعل فعلها الاسطوري لانتاج قناعات جديدة تؤثر في مسيرة حياتنا المعاصرة.

مؤيد

مقدمة

بقلم العلامة الدكتور حسين علي محفوظ

أخبرني الاســـتاذ مؤيد عبد القادر أنه نوى ان يجمع كتابا عن الحكيم عبد الهادي الخليلي، ورجا أن أقدم الكتاب.

أطريت الفكرة، وأثنيت عليها وباركتها، والحديث عن عبد الهادي الخليلي وفاء للعبقرية والاريحية، وفاء للفضل والنبل، وفاء للعراق، وفاء للرائد، وفاء للأستاذ، وفاء للطبيب. والطبيب أحد اربعة اوليهم من الاهتمام والاحترام ما لا يسعه التعبير، هم الأم، والطفل، والاستاذ والطبيب.

يجمع الخليلي مزيتين، هو طبيب فاضـل، واسـتاذ فاضـل، طبيب فاضـل رقيق، واسـتاذ فاضـل رفيق، رفيق مرتين بالمعنيين. يرافق المريض ويرفق به، ويرافق التلميذ ويرفق به.

والمعلم الفاضل يصحبه تلامذته وطلبته ومريدوه يتلقون منه، وينتفعون به، ويستفيدون منه، يتعلمون دروسه، ويحافظون على مدرســـته، ويحملون تعاليمه، ويلزمون ســـيرته. وهي كيان، أركانه العلم والخلق والتواضـــع والاخلاص، وهي اقانيم المعلم الفاضل، والدرب طويل، والمسير مزدحم. ولا يورق الا ما ينفع، وكل شيء، ما خلاه باطل، وكل شيء سواه زائل.

استطاع عبد الهادي الخليلي ـــ وقد لازم الجراحة، وصاحب التشريح مدة أن يرى كثيرا من الحقائق والدقائق، في هذا الجرم الصـــغير، الذي انطوى فيه العالم الاكبر، ينحني في زواياه، ويغوص في اعماقه، ويطوف في حناياه.

بهرت عجائب الخلق ولطائفه الخليلي، فازداد يقينا، قال ابن رشـد: من اشـتغل بعلم التشـريح ازداد ايمانا بالله سافر فكره في اقطار البدن، واقاليم الجسد، وانحاء الجسم، فاعتصم بالايمان، وعاذ باليقين، واستمسك بعروة تتدلى من سبحات المحل، الارفع، وهي ـ اليوم ـ مدرسة يتكاثر رجالها في الشرق والغرب، كان الخليلي على شفا جرفها، ولده العراق، ونشأ في الكوفة والنجف وبغداد، ورباه محيطه يعد من امثلة عوالم الروح، ولكنه كان يحتاج الى من يأتيه بقبس.

وفي وصـية فخر الدين الرازي التي املاها في شـدة مرضـه، على تلميذه ابراهيم بن ابي بكر في يوم الاحد، الحادي والعشـرين من شـهر المحرم، سـنة سـت وسـتمائة: (ان العقول البشـرية تتلاشـى وتضـمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفية).

وتتعانق في سـيرة الخليلي الرقة والدقة، واللين والشـدة، والرحمة والقسـوة، والرفق والحدة، والحنان والغلظة، وكذاك الطبيب الجراح، هذه صفات الطبيب، وتلك ضرورات الجراح.

هذا، وفيه من البشاشة ما تعبر عنه طلاقة وجهه، ومن الهشاشة ما يفصح عنه مرحه، مع دعابة وخفة روح ونكتة وهزل وتهلل وارتياح.

تقتسم عبد الهادي الخليلي ثلاث مدن كبار النجف موطن أبائه، ومساكن اهله، والكوفة مولده ومربعه، وبغداد، التي تلقى فيها الطب.

النجف مدينة العلم العظمى، ومدرسـة الفقه الكبرى، وجامعة الاسـلام العليا مركز دائرة الاجتهاد، وقطب رحى التقليد، وراية العرب، وعلم الامة.

تعود مدرسـة النجف الاولى الى بداياتها في تاريخ الاسـلام، وترجع مدرسـتها الاخيرة الى زمن (الشـيخ) في اواسط القرن الخامس، سنة 448هـ.

خرجت النجف الاشـرف عشـرات الاسـر، تزيد عدة من عرفناهم على مائة بيت، انجبت بما يزيد على ألف عالم، اهتم نصـفهم بالتأليف، ودونوا المعارف والعلوم، ومدارسـها وحلقاتها ومجالسـها شـواهد تنطق بمنزلتها ومكانتها، تؤكد ميزتها واهميتها.

تمتاز مدرسـة النجف ان كل من فيها، يتعلم ممن هو فوقه، ويعلم ممن هو دونه، وان البحث والمذاكرة وتقرير البحث من خصائص الدراسة، وضرورات المدرسة ومن مدارس النجف المعروفة، مدرسة الخليلي الكبيرة، في عقد السلام، في محلة العمارة، وهي محلة المراجع الاعلين، والمجتهدين الكبار، والعلماء الفضلاء.

اسسـها الشيخ حسين الخليلي، في سنة 1316هـ. وكانت عش العلماء والفضـلاء، ومزاد الطلبة، ومنتجع المتعلمين.

جمعت مدرسة النجف الدنيا، والتقت فيها الاقاليم، وتعانقت البلدان والمدن، وتلاقت الاقطار والامصار.

وهي ظهر الكوفة، ومجتمع المؤمنين، وإحدى البقاع الاربع، التي ضجت الى الله يوم الطوفان، وهي بقعة أول من عبُد الله عليها، وهي بقعة من جنة عدن، وروضـة من رياض الجنة، ومنزل ابراهيم، ودار هجرته كما تنطق به أحاديث الاحفاد.

الكوفة حرم الله، وحرم رسوله، وحرم علي بن ابي طالب، وهي جمجمة العرب، ورمح الله تبارك وتعالى، وكنز الايمان، صـرة بابل، ومجمع الانبياء، بيت ادم، وبيت نوح، وبيت ادريس، ومصـلى ابراهيم الخليل، ومصـلى علي، وهي الربوة، ذات قرار ومعين، وطور سنين في التفسير.

احتج الله بالكوفة على سـائر البلاد، واحتج بالمؤمنين من اهلها على غيرهم من اهل البلاد وهم الاجلة والاوقاد.

هي مدينة اهل البيت ومحلهم، وهي تربة يحبونها وتحبهم، فيها عظام ادم، وقبر نوح، وهود وصـالح وابراهيم، وقبور جمهرة من الصـحابة، عدتهم (323) كما شـهد التاريخ، وفيها مقابر ثلاثمائة وسـبعين نبيا، وسـتمائة وصي، ثم انها مزار امير المؤمنين علي بن ابي طالب ومشهده ومثواه.

وبغداد ام الدنيا وسـيدة البلاد، وعين العراق، وجنة الارض، وشـرف الاقاليم، وهي اعرف من ان توصـف، وأشهر من ان تذكر، وهي مدينة السلام، ودار السلام، وقبة الاسلام.

ذاك مثبت الخليلي، ومعدنه، وموطنه ومسكنه. واما ثقيف، التي ينتهي اليها نسبه، فهم بنو منبه بن بكر بن هوازن بن منصـور بن عكرمة بن خصـفة بن قيس عيلان، من قصـر، وهم عشـيرة الحارث بن كلدة، طبيب العرب المعروف، ورهط المختار.

التقت في الخليلي صـفات وحالات، قل ان تجمع في واحد، بيت عريق، ومثبت معرق، وعلم جم، وتواضـع رفيع، وادب فائق، وخلق عظيم، الى ذكاء متوقد، وفطنة براقة.

بيتَ خَدَم الطب في العراق، قرنين وبضع سنين، منذ سنة 1215هـ. وأنجب العديد من الاطباء الكبار.

عرف تاريخ الطـب اسرا وبيوتات اهتمت بالطـب تبـتدئ بال اسقلبيوس، واسقلبيوس هو اول من ذكر من الاطباء، واول من تكلم في شيء من الطب.

وعرف الاطباء الثمانية، كما عرف ابقراط والبقارطة، وعرف ايضـا جالينوس، خاتم الاطباء الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، وعرف الاطباء الاسكندرانيين.

وعرف كذلك، الحارث بن كلدة الثقفي، طبيب العرب، خريج اليمن وبيت لاباط في جند نيسابور.

عرف النجاشـعة، ال بختيشـوع، وال طيفور، وال ماسـويه، وحنين بن اسـحاق وابنه، وال قرة، وابو اسـحاق الحراني وابنه، ومبدوس وابن ابنه، وديلم وداود بن ديلم، وابا سـعيد اليمامي وابنه، وابن بكس وابنه، وابن التلميذ وابنه وال اثردي، والحراني وابنيه، واسحاق الطيبي وابنه وابن ملكا وابن اخيه، وال حسراي، وبن زهر، وابن رشد وابنه، وابن حسان وابنه، وابن الكتاني، وابن اخيه، نسكاس وحفيده، وابن البطريق وابنه، وسهلان وابنه، وسلامة بن رحمون وابنه، وال ابن سليمان وابا حليقة وابنه، وابن اللبودي وابنه، والرئيس موسى وابنه، وابن ابي الخواطر وابنه، موفق الدين وابنه، وال الرحبي، والسامريين، والمنفاخين، وابا الفرج النصراني واولاده،

وال ربيع، وال ربيع الاخرين، وال الخليلي، وال الحكيم، وال الشيخ راضي العطار والصيدلانيين، **وقد انجب ال الخليلي جمهرة لم تنجب بمثلهم اسرة في تاريخ الطب، وهو امر ينفرد به هذا البيت المجيد.**

ولد الشيخ خليل بن علي بن ابراهيم بن محمد علي الطبيب، جد ال الخليلي، ورأس البيت، في سنة 1180هـ، وكان يقاس بافلاطون وجالينوس.

سكن الشيخ الطبيب كربلاء، وتوطن النجف، وتروئ عنه كرامات تدل على منزلته ومكانته. وتوفى ـ رحمه الله ـــ في سنة 1280، وأعقب خمسة، عالمين جليلين، وثلاثة اطباء مشاهير، انجبوا جمهرة من المعارف، وهكذا ورث ال الخليلي العلم والطب والحكمة.

قصد (خليل) جد ال الخليلي الكاظمية، في سنة 1215هـــ. وتعرف الناس اليه طبيبا في ذلك العام، وينسب التعريف به، والتعرف اليه، الى رؤيا في منام، وهي من طرائف الاحلام، وهكذا ابتدأ الطب في هذا البيت.

كان الشيخ خليل طبيبا بارعا، اشتهرت معالجاته، وهي مواريث تلقتها ذرياته، كان (القانون) في الطب، للشيخ الرئيس ابن سينا عمدة المتطببين في حفظ الصحة ودفع المرضى، وكذلك كتاب ابن النفيس، وكان كتاب (التذكرة) للشيخ داود الانطاكي الضرير معتمدهم في الادوية، وهي كتب معتبرة، تعد من مصادر المعرفة، ابن سينا حجة الطب، وكتاب القانون هو الاول والاخر في الطب، والانطاكي ـ عندي ـ هو الطبيب الاخير، وكتابه التذكرة هو الموسوعة الاخيرة في علوم الطب والدواء، ولا ارتاب ان لال الخليلي من التجارب ما لو دون كان كتابا اخر، والناس تحدث عن معالجاتهم، وتتداول الثناء عليهم، وهم ثاني ال ربع في النجف والحلة، في الشهرة.

قلت: لا يعرف تاريخ الطب من الاسر والبيوت من أنجب بمقدار ما أنجب هذا البيت، وهم طبقات، تنطوي فيها معدة كثيرة وجمهرة كبيرة من الاطباء، القدماء والجدد.

تابع الجدد القدماء في الطب الحديث، وبرز العديد منهم في اقسام الطب.

وفيهم من تباهي بهم المعرفة الطبية، كما اعتزت مدرسة (القانون) بآبائهم من قبل في القرنين المتأخر والاخير، منذ سنة 1800م.

يعتز هذا البيت بالمحدث والفقيه، والمصنف والمؤلف، والطبيب والأديب، والكاتب والشاعر، والقصاص والصحفي، والناشر والمطبعي، ودورهم واضح في العراق، في العلم والادب، والطب والعلاج، والترجمة والتأليف، والثقافة والصحافة، والطباعة والنشر، تشهد اثارهم وما خلفوا من نتاج.

يختال عبد الهادي فخورا ببني عمه وعمومته والاقربين من افراد هذا البيت، كما يختال فخورا بين النجف والكوفة وبغداد، زاهياً بما تلقاه في اوربا، وما تعلمه في الغرب، وهو جديد مفيد يعتز به. وقدر فرق من الفطنة والذكاء ما حقق به النفع، وخدم به العلم والطب.

وهو ـ اليوم ـ من الافراد في الاختصاص، والمرجو أن يتشبه تلامذته به، وينهجوا منهجه، ويقتفوا اثره، ويجروا على منهاجه، ويسلكوا طريقه، ان شاء الله.

قال ابن ابي أصـــيبعة، في ترجمة مهذب الدين ابي ســـعيد محمد بن ابي حليقة الطبيب، في عيون الانباء: (منحه الله من العقل أكمله، ومن الادب افضله، ومن الذكاء أغزره، ومن العلم اكثره.

قد أتقن الصناعة الطبية. فلا أحد يدانيه فيما يعانيه، ولا يصل الى الخلائق الجميلة التي اجتمعت فيه، لطيف الكلام، جزيل الانعام، احسانه الى الصديق والنسيب، والبعيد والقريب.

وهو يعرب عن فضل باهر، وعلم واخر، وفطنه أصمعية، وشنشنة أخزمية، وتودد عظيم، واحسان جسيم.. ولم يزل.. ملازما للاشتغال، محمود السيرة، في الاقوال والافعال.. وكأن هذا القول في عبد الهادي الخليلي.

هذا وهو يتمتع من حدة الفؤاد، وصـــدق الظن، وجودة الحدس، وتوقد الذكاء، واصـــابة الرأي، وطيبة النفس، وحسن البشر، بنصيب جم انه ضحوك فكه، سهل لين، ثقف لقف، عبق لبق، ظريف لطيف، مع الرجاحة، والعلم والفضل والحذق.

ومن لعبدالهادي الخليلي تلامذته واصدقاؤه بما دبجوا من كلمات، وما سطروا من كلام.

عرفه الاصدقاء اخا كريما، وليا حميما. وعرفه التلاميذ ابا برا ومعلما مرشدا. هو أب لهؤلاء، اخ لاولئك.

أحيي (الخليلي) واباركه واهنئه، باركه الله وبارك له وفيه وعليه، شاكرا للولد الكريم، الاستاذ مؤيد عبد القادر، مطريا جهده، مثنيا عليه، داعيا له، معتزا بمقالات الافاضل الكرام، الذين خصوا الخليلي بكلماتهم المعطار.

الدخول الى عالم الخليلي

الكتابة عن الحكيم والمفكر الدكتور عبد الهادي، نجل الحكيم محمد صالح الخليلي، تلزمنا ان نسلط الضوء على اسرة آل الخليلي العراقية العريقة، مؤشرين هنا بأن رأسها الحكيم الشاعر الخليل بن علي بن ابراهيم الرازي النجفي، اشتهر بالثقفي، لانتماء هذه الاسرة الى الحارث بن كندة الثقفي ... اقام معظم ابناء هذه الاســـرة في مدينتي الكوفة والنجف الاشـــرف، وقد مارس اغلب هؤلاء الابناء الحكماء مهنة الطب، وتميزوا في ممارستهم لها، وأشير الى مهارتهم في كل ما سجله مؤرخو الطب في بلادنا.

وللاســـرة دور وطني وقومي ما زال ســـجّل بلادنا الوطني والقومي يحتفظ لعدد من افرادها بادوارهم البارزة في حركة النضال في العراق والوطن العربي.. فمؤرخو ثورة النجف الاشرف عام 1918 بالضد من الاحتلال البريطاني، يسـجلون للمرحوم الاسـتاذ عباس الخليلي دوره البارز في هذه الثورة، حتى عّده اغلب اولئك المؤرخين بأنه أحد ابرز رؤوس الثورة..

وفي مجال الصحافة ما زال صدى موسوعة (هؤلاء كما عرفتهم) للاستاذ جعفر الخليلي واسعاً، وهي الان مرجع مهم في علم الرجال والاحداث، فضـــلاً عن جريدتيه المهمتين (الراعي) و (الهاتف) اللتين ما زالتا حتى اليوم تُعّدان مرجعاً ثقافياً مهما لمن شـــاء تســـجيل تأريخ الادب والثقافة في العراق على إمتداد عقود الثلاثينيات والاربعينيات والخمسينيات، وفترة قصـيرة من العقد السـتيني.. وقد سـجل سـفر الطب في بلادنا صـفحات مشـرقة تحيط بجهود الحكيمين الخليليين حسـين واحمد، ومافتيء النجفيون يتذكرون حتى اليوم جهود الحكيم حسين الخليلي في انجاز مشروع ماء النجف الاشرف..

وبصدد نبوغه نرى الكثيرين يؤكدون نطاسة هذا الحكيم.. فها هو رئيس قسم جراحة المخ والاعصاب في جامعة عين شـــمس المصـــرية، يقر بالقيمة الكبيرة للجهود التي بذلها الدكتور عبد الهادي الخليلي في مجال جراحة المخ والاعصـاب سواء على صـعيد التعليم او مشاركة تخصـصـات اخرى، ومجالات أخرى مؤكداً في ذات الاتجاه وعبر رســـالته الموجهة الى الدكتور حمدي عبد العزيز المســـاعد العلمي الســـابق لرئيس جامعة بغداد، ان ابحاث الخليلي واعماله تؤهله جميعها للدرجة المتقدم لها، شـــاعراً بالفخر بهذا الطبيب في مقدمة صـــفوف جراحي الاعصـــاب في الشـــرق الاوســـط.. فيما يصـــفه رئيس قســـم جراحة الاعصاب والدماغ في جامعة عين شمس بأوصاف علمية يستحقها هذا الطبيب اللامع، معقباً على ثمانية بحوث اصـــيلة. يقول عن البحث الأول: البحث يخدم بطريقة علمية وفعالة مجالاً لم يطرقه أحد محلياً وقليل عالميا.. ويصـف البحث الثاني: بانه تجربة جديدة لم يسـبق ان اسـتخدمها عبر هذه الوسـائل في التجارب المماثلة من قبل، وهو موضـــوع جديد جداً ويبشِّـــر بنتائج مأمونة، ويُعد البحث الثالث: (اضـــافة كبيرة واســـتنباطات وإحتمالات لتقييم تقني لوســـيلة جديدة هي الفحص الطبقي المحوري في اكياس محجر

العين المسبِّب للجحوظ). وعن بحثه الخاص بأسباب تكوين التشوهات الشريانية وعلاقتها بضغط الدم المرتفع ونسبة الوفيات في حالات كهذه يقول الأكاديمي المصري بان البحث يمثل دراسة استرجاعية مستفيضة لهذه الحالات غيرت اراء سابقة فيما يتصل بتلك التشوهات واسبابها.. وعدّه الأكاديمي ذاته واحداً من ابرز الرواد في قياس الضغط داخل الدماغ. وعلى صعيد رؤية الخليلي لـ(موت الدماغ) عبر ما افاض به بحثه، قال رئيس قسم جراحة الاعصاب والدماغ في الجامعة المصرية المذكورة (بانه بحث تفصيلي ودقيق على الصعد التعليمية والطبية والقانونية)..

بقي ان نعرف بان الاستاذ الخليلي قد نشر الكثير من البحوث منذ عام 1977 وحتى الآن (شتاء 2003) وكانت جميعها قد ألقيت في مؤتمرات علمية، سواء داخل العراق ام خارجه، فيما نشر اكثر من عشرين بحثاً في مجلات صادرة باللغة الانكليزية. وقد ابتكر، فضلاً عن تلك الجهود النظرية الفذة، تصميم الآلة البغدادية لاستخراج الاكياس المائية، الى جانب استنباط تحوير عملية جراحية لإستئصال اورام محجر العين. فيما كان الطبيب العراقي الاول الذي القى محاضرتين نوعيتين في مركزين علميين بريطانيين ، مستشفى مورفيلدز وكلية طب هتمرسميث للدراسات العليا، وكان للدكتور الخليلي الفضل السابغ في استحداث عيادة تخصصية تحمل اسم (عيادة محجر العين) في مؤسسة مدينة الطب ومستشفى ابن الهيثم لجراحة العيون في العاصمة، وما زال الوسط الطبي يذكر للحكيم الخليلي جهده المخلص والدؤوب في اقامة اهم ندوة علمية حول (الخلية السرطانية) عام 1985، وما بذله من جهود مضنية لعقد مؤتمر السرطان والبيئة لأقطار الخليج العربي عام 1981، الى جانب مؤتمر جراحة الاصابات المعقودة عام 1987، وشهد عام 1989 عقد الندوة العلمية العالمية لمرض الاكياس المائية الذي كان للدكتور الخليلي الجهد الواضح في عقد هذه الندوة فضلا عن تنظيمه مؤتمر الرنين ...

وفيما يتصل بالاختصاص الصعب الذي اختاره الدكتور الخليلي لنفسه، فأنه يقول: تذكرني مفردة الاختصاص الصعب بالمرحوم أستاذ العيون في كلية الطب بجامعة بغداد الدكتور جلال الاسترابادي، والذي كانت تربطني به علاقة خاصة كوني الطالب الأول بطب العيون في المرحلة الخامسة من الكلية، عندما جاء من يخبره بأن عبد الهادي الخليلي أتجه صوب اختصاص العيون فأجاب ممتعضاً: يدهشني أن هذا الطبيب الذي أعرفه جيداً والذي حاز على الأولوية على دفعته اختار الاختصاص الأسهل! ذلك لأنني كنت أعتقد بأن خياره سيكون الاختصاص الصعب!

وهنا يشير الاسترابادي – من وجهة نظره – إلى أن طب العيون ليس اختصاصاً صعباً كجراحة الدماغ مثلاً.

من المناسب تماماً أن نذكر الطريقة التي اختار بها الخليلي جراحة الدماغ، فعندما أخبره زميله في الكلية ببغداد الدكتور محمد عزيز الموسوي عن وجود إعلان أصدرته مستشفى (دندي) لملء موقع الإقامة والتدريب في قسم جراحة الدماغ فيها، توجه الخليلي إلى المستشفى المذكورة، واستطاع ان يقنع أعضاء اللجنة التي تختار الاصلح من المتقدمين، بانه (مكبل!) باختصاص العيون، وهو راغب تماماً أن يكون خياره الجديد جراحة الدماغ، فاقتنعت اللجنة به وبحسن لغته وبمبرراته القوية، وكان له ما أراد، فبدأ رحلته الجديدة – الشاقة واللذيذة – مع هذا الاختصاص الذي يجمع الأطباء في العالم على تسميته بالاختصاص الصعب.

والخليلي برغم إيمانه بما يقوله الكثيرون من أن طب العيون أكثر كسباً مادياً على عكس جراحة الدماغ في العراق وأقل جهداً، تراه يؤكد بانه لو خير ثانية بين الأمرين لأختار الأمر الأصعب، مع تأكيده المستمر على أن طب العيون من الاختصاصات المبرزة في الطب .. والرجل يخص اختصاصيي العيون في العراق وخارجه بمحبة غامرة، ذلك لأنهم يحافظون – بإرادة الباري – على أجمل ما في الإنسان!

وبقي الخليلي يمارس تدريبه في مستشفى (دندي) بقسم جراحة الدماغ فيها، وجراحة الطوارئ. ولحرص المستشفى على ما قدمه الخليلي خصصت إدارتها له فرصة ذهبية بأكمال متطلبات الجراحة العامة لامتحان زمالة كلية الأطباء الملكية البريطانية (F.R.C.S) تحت إشراف البروفيسور (السير دونالد دكلص) ، رئيس كلية الجراحين الملكية البريطانية في أدنبرة، ورئيس قسم الجراحة ببغداد في عقد الأربعينات، وكان هذا البروفيسور يعبر ـ عبر علاقته بالخليلي ـ عن حب غامر للعراق وللعراقيين، وكثيراً ما كان يحدث البروفيسور دكلص، تلميذه الخليلي عن اصدقائه العراقيين أمثال: الدكتور صائب شوكت، والدكتور سلمان فائق، الى جانب احاديثه الشيقة عن دجلة الخالد! وهذا (تكريم) يندر أن يخص به طالب من غير البريطانيين ومازلت . يقول الخليلي ـ أتحدث عن المزايا التي حزت عليها كطبيب عراقي، ومن جانبه فقد بذل جهداً استثنائياً ليجعل مكرميه يدركون دقة قرارهم بمنحه هذه الفرصة الذهبية، اذ حاز على شهادة زمالة كلية الجراحيين الملكية البريطانية خلال أحد عشر شهراً فقط!.

وعندما حاز على هذه الشهادة المهمة اختار مركزاً أوسع في اختصاصه الجديد، فكانت رحلته الجديدة في المستشفى الجامعي في مدينة (ليدز)، وتدرج في تدريبه فيها ليحصل على مرتبة رئيس الأطباء المقيمين في مركز جراحة الدماغ في المستشفى المذكورة، ومن الصدف الجميلة أن يكون المرحوم اللواء الطبيب طارق عبد القادر كركجي أحد الذين سبقوا الخليلي في هذه المستشفى وقد ترك الأول أثراً طيباً لدى زملائه الإنكليز، فيما تدرب في قسم طب الأعصاب في المستشفى ذاتها طبيب الأعصاب المعروف الدكتور عجيب علي وهو الآخر كان مثالاً للعراقي الملتزم.

لم يقف جهد الدكتور الخليلي عند حد التدريب في (دندي) و(ليدز) إذ شد رحاله هذه المرة إلى لندن متدرباً فيها، ليغادر بعدها إلى (زيورخ) في سـويسـرا ليتدرب على يدْي أحد أبرز عمالقة جراحة الدماغ في العالم (البروفيسور محمود غازي ياجاركَيل) التركي الأصل. ولتهيئة هذه الفرصة حدثت مشادة بين رئيسه المباشر كيبسون وإدارة المستشفى بسبب غلاء تكاليف تغطية نفقات الدورة في زيورخ. وبغضب واضح أرسل الاستاذ كبسون رسالة الى رئيس مجلس إدارة المستشفى يقول فيها إن الخليلي أفضل طبيب مقيم أقدم عمل هنا منذ خمسة عشر عاما، وأذعنت إدارة المستشفى لطلبه. وكذلك أرتبط بمعهد السرطان الأوربي في بروكسل ممثلاً للمستشفى الذي كان يعمل فيه بمدينة (ليدز)..

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور الخليلي خلال تدريبه في (ليدز) قدم لنيل شهادة الماجستير في فلسفة العلوم.. ولهذه الشهادة قصة يرويها لنا بكل إمتداداتها الأستاذ الخليلي نفسه فيقول: حينما حصلت على شهادة زمالة كلية الجراحين الملكية البريطانية، وهي الشهادة المهنية، قررت الحصول على شهادة عضوية كلية الأطباء الملكية. وكان في حينها حق اختيار المرشح لنصف مادة الامتحان. وكان اختياري في داخل نفسي لموضوع الأمراض العصبية العينية، وهذا نابع من علاقتي الوطيدة باختصاص العيون. ولكن الكلية قررت إلغاء هذا الخيار في ذلك العام، حيث أصبحت مادة الامتحان موحدة للجميع في الطب الباطني. وكان هذا عبئاً ثقيلاً عليَّ لوجوب دخولي في مسيرة تدريبية طبية باطنية طويلة.

فعندها قررت أن أدخل مدخل الدراسة الاكاديمية على الماجستير أو الدكتوراه كطالب خارجي، لعدم توفر الوقت لدي خلال عملي في التدريب للجراحة العصبية في حينها. وراسلت العديد من الجامعات البريطانية في ذلك الوقت، فكانت أنسب جامعة لظروفي، هي جامعة برادفورد، قرب محل تدريبي في ليدز، فسجلت عام 1975 على شهادة ماجستير فلسفة علوم كطالب خارجي، وهذه تأخذ مدة طويلة تصل إلى عدة سنوات. وحينما قدمت الأطروحة في شكلها النهائي للمشرف الأستاذ ترنر عميد معهد الدراسات الطبية العليا في الجامعة، صرح بعد تصفحه للأطروحة بتمعن، بأنها تصلح بشكلها الحالي لشهادة الدكتوراه. وابتسمت، ولكنه كان جاداً في كلامه. وطلب من مجلس الجامعة تغيير التسجيل من ماجستير إلى دكتوراه، وهكذا كان. وقدمت للامتحان لذات الأطروحة على الدكتوراه، وصادف ان يكون ذلك اليوم هو ذاته يوم حفل زفاف الأمير جارلس على الأميرة ديانا عام 1981! وعند الامتحان الذي ضم لجنة من المشرفين، ولكنه من المؤسف أن الأستاذ ترنر لم يستطع الحضور بسبب إجرائه عملية استئصال سرطان القولون وبعدها بأيام خضع لعملية استئصال الصفراء.. أقول كان من أعضاء اللجنة المشرف الآخر الأستاذ مايلز كبسون الذي تدربت عليه في الجراحة العصبية، وكذلك جون شو الجراح المشهور في أدنبرة، فيما ترأس اللجنة الأستاذ بيكر من الجامعة ذاتها.. وبعد انتهاء الامتحان، جاءني رئيس اللجنة لتهنئتي وقال بالحرف الواحد: لقد امتحنت العديد من

الطلبة في مختلف أنحاء بريطانيا، وكان أداؤك متميزاً، آمل أن يّقيمك بلدك. وهذا يعني أنه ترك الكرة في ملعبي! وعدت إلى العراق بسرعة بسبب الظروف الملحة حينها، أيام الحرب العراقية الإيرانية، ولم أعلم بأن الممتحن الخارجي (جون شـــو) كان قد طلب إعادة بعض فقرات الأطروحة. ولم يكن الخروج من العراق في تلك الأيام سهلا ولم يساعدني العميد ولا رئيس الجامعة في حينها بالحصول على موافقات السفر، واستمرت المراسلات إلى حد قلت للمشرف الأستاذ ترنر الذي خيرني بين العودة إلى الجامعة للحصول على الدكتوراه بعد التعديلات الطفيفة، أو القبول بشهادة الماجستير فلسفة علوم، الشهادة التي كانت في البداية، انه من المحال عودتي إلى بريطانيا. وإن شهادة زمالة كلية الجراحين والتي تعادل شهادة الدكتوراه، تكفيني للولوج الى أي ميدان مهني أختاره، وما دخولي إلى الميدان الأكاديمي إلاّ للحصول على القدرة في الاستنباط وتحسين المعرفة والتعمق في مزج ما هو منشور من الأدبيات العلمية وما يقال مع ما أريد أن أقول، وقد حصلت على بعض من ذلك. ولا تهمني الحروف بعد حروف الزمالة البريطانية كثيراً!! فكان ان ســـاد الخيار الثاني حيث أرسلت الي الجامعة شهادة الماجستير في فسلفة العلوم وأنا في العراق. والشهود على بعض هذه الأحداث الأستاذ الدكتور صادق نصر الله من الجامعة التكنولوجية في بغداد والدكتورة ساهرة الأستاذة في الباثولوجي بكلية طب جامعة بغداد، حيث كانا في حينها طالبين في الجامعة ذاتها، وبين يدي حتى الان المراســـلات الكاملة، تلك التي تمت بين الجامعة وبيني، وبين الجامعة والعمادة في بغداد. وأنا لســـت بآســـف على تلك الحروف ولا مبتئسٍ!!

وكان قرار الدكتور الخليلي الذي أتخذه قبل سفره إلى إنكلترا أصلاً هو أن يكون جهده النافع للعراق، لوطنه وأهله العراقيين، لذلك تراه يلتزم بالبقاء بدون زواج بأجنبية في بريطانيا لمدة خمس ســنوات، ذلك لأن فلسفته تؤكد أن بقاء الإنسان خارج وطنه أكثر من هذه المدة والاقتران بأجنبية يجبراه على الالتصاق بالأرض ليكون على أديمها. لذلك تراه يشد الرحال، بعد أن جمع بين يديه الخبرة والشهادة، إلى وطنه وقبل صدور قرار عودة الكفاءات. والعجيب في الأمر أنه كانت في (حقيبة) الدكتور الخليلي بطاقة ســـفر بالطائرة يســـتطيع معها التجوال في عدد كبير من دول العالم وبضمنها الولايات المتحدة الأميركية لزيارة المراكز الطبية فيها، لكنه لم يكمل مشواره في السفر ليكون في بغداد في مايس 1976 وقبل انتهاء مفعول قرار عودة الكفاءات بيوم واحد، وبذلك لم يتحقق حلمه المؤجل بالســـفر إلى أوربا وأميركا ثم العودة إلى بغداد لتكون خاتمة مطافه، أي أن يكون قرار عودته الذي أتخذه سابقاً، قبل قرار عودة الكفاءات، فكان له ما أراد وخطط.

وثمة قرار أصدرته الدولة العراقية يلزم المتخرج حامل الشهادة العليا الحاصل عليها من الكليات الأجنبية بالخدمة خارج العاصمة لمدة سنتين، لكن الدكتور الخليلي أستثنيَ من هذا الشرط بقرار من مجلس قيادة الثورة بناء على توصية وزير الصحة. وباشر العمل في مستشفى جراحة الجملة العصبية لمدة شهرين، نقلت بعدهما

خدماته، بناء على رغبته، إلى جامعة بغداد.. ويعتبر الأســـتاذ الخليلي عمله في الجامعة بمثابة الفرصـــة الأجمل في حياته، خاصـــة وهو رجل يؤمن بجدوى البحث وتحقيق موازنة دقيقة تتمثل بخدمة طالب الطب والمريض معاً.

وخلال عمله التدريسـياً في الكلية تدرج في المواقع الأكاديمية منذ عام 1976 وحتى الآن (2003)، حيث حصـوله على مرتبة الأسـتاذية عام 1988، وفاز خلال هذه السـنوات بلقب الأسـتاذ الأول عام 1994، فيما أختاره اتحاد الأطباء العرب عام 1997، الطبيب الأول في الوطن العربي..

أعد الدكتور الخليلي أكثر من خمســين بحثاً في مجالات الجراحة العصــبية، ومحجر العين، ودراســات فلسفية وثقافية وطبية خارج اختصاصه الدقيق منها:

- بحث حول الأكياس المائية في محجر العين لتبيان نظرية لم يجر التطرق لها سـابقاً، نشـر في مجلة الأشعة الحاسبية الأميركية.
- بحث حول فطريات الدماغ، نشر في مجلة العلوم العصبية الأوربية.
- بحث حول زرع النخاع الشــوكي، بالاشــتراك مع الدكتور العلامة محمود حياوي حماش، نشــر في مجلة الشلل السفلي البريطانية.
- بحث حول ما بعد إصابات الرأس عند الأطفال، نشر في مجلة الأطفال العربية.
- بحث حول (فتق) الدماغ الأنفي الخلقي، نشر في مجلة اتحاد أطباء الإسنان العرب.
- بحث حول موت الدماغ، نشــر في مجلة العلوم العراقية، ومجلة دراســات قانونية الصــادرة عن بيت الحكمة البغدادي.
- بحث حول تعريب العلوم الطبّية، نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي.
- اليومان الأخيران من حياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دراسة طبية.

ألقى الدكتور الخليلي بحوثه ودراســاته العلمية والفكرية والفلسـفية في منتديات ومؤسـســات فكرية وثقافية وعلمية أبرزها: المجمع العلمي العراقي، وبيت الحكمة البغدادي، ومنتدى الرواد، ومنتدى ابي حنيفة، ومجلس الكاظمية الثقافي (الخاقاني)، وكليات الهندسة، والجامعة التكنولوجية، ونقابة الأطباء وجمعية الباراسايكولوجي، وجمعية الحاسبات، وسـجل له التلفزيون بقنواته المختلفة مقابلات ومناظرات، لعل اهمها المناظرة التي شـارك فيها الأستاذان: الدكتور أحمد الكبيسي والدكتور حكمت الشعرباف.

وللأسـتاذ الخليلي نشـاطات مهمة كثيرة أبرزها تولية مسـؤوليات ولجاناً مثل، نائب رئيس مجلس السـرطان في العراق التابع لوزارة الصــحة، عضــو هيئة البحث العلمي، لجنة رعاية المبدعين، عضــو اللجنة المركزية للتعليم الطبي المسـتمر، ولجان أخرى في وزارتي الصـحة، والتعليم العالي، والبحث العلمي وغيرهما. وعضـو

مؤازر في المجمع العلمي العراقي. وفي خارج القطر، عضـــو لجنة البحوث الصـــحية في منظمة الصـــحة العالمية لمنطقة شرق المتوسط.

فيما حصـل على عدد كبير من التكريمات أبرزها، وسـام العلم وشـارته، والتي حجب عنه تكرارها لإسـباب ســياســية! وقدم خلال معارك الحرب العراقية الإيرانية في قواطع العمليات الجنوبية والشــمالية لما يزيد عن خمسـة وعشـرين إيفاداً إلى المسـتشـفيات ضـمن تلك القواطع الملتهبة لإجراء العمليات للمصـابين من جرحى المعارك. فيما كلف خلال حرب الكويت بالعمل في مسـتشـفى جراحة الجملة العصـبية حتى وضـعت الحرب أوزارها. وله أكثر من تسعين تكريما وكتاب شكر من مختلف الجهات الرسمية والعلمية.

وهنا لابد أن نتطلع صـوب الخليلي طالباً، وتدريسـياً، ومسـتنبطاً، وضـيفاً محاضـراً، ومحاضـراً في الثقافة الطبية والعلمية، وباحثاً ومؤلفاً، ومترجماً.

كطالب: مبرز بين أقرانه. كان الخريج الأول في كلية الطب عام 1966.

كطبيب: متميز بين زملائه في داخل العراق وخارجه وقد قال عنه أسـتاذه العلامة الدكتور خالد القصـاب بأنه أفضـل طبيب تخرج على يديه. وفي إنكلترا قال عنه أستاذه ميلز كبسون بأنه أفضـل رجسـترار (مسـجل) عمل معه خلال الخمس عشـرة سـنة الماضـية. وحصـل على تكريم السـيد وزير الصـحة لأدائه المتميز عام 1997 فيما حصل على جائزة اتحاد الأطباء العرب عام 1997 كأفضل طبيب علمي وعربي.

كتدريسي: في محاضراته يكون حضور الطلبة متكاملاً تقريبا.. انتخبه الطلبة تدريسياً متميزاً في محاضراته النظرية والسريرية المليئة بالأمثال، والشعر والعبر العربية والأجنبية. وبذلك أختير الأستاذ الأول.

كجراح: معروف بين أقرانـه في جراحـة الـدمـاغ والعمود الفقري. ولـه دور متميز في حقل جراحـة محجر العين.

كمسـتنبط: اسـتنبط عملية لاسـتئصـال الكيس المائي من محجر العين وعرضـها في محافل متخصـصـة دولية. وصـمم تحويراً لعملية اسـتكشـاف محجر العين وعرضـها في مؤتمر جراحي العيون. اسـتنبط الآلة البغدادية لاستخراج الأكياس المائية، وحصـل عليها براءة اختراع. واستنبط ميزان رقمي لتقييم علامة (الشمس الغاربة) في حالات موت الدماغ.

كمحاضـر ضـيف في الاختصـاص: حاضـر في محافل دولية منها: محاضـرة في مسـتشـفى (مورفيلد) في لندن مصـــحوبة بفلم من إنتاجه حول عملية اســـتئصـــال الأكياس المائية في محجر العين، وله محاضـــرة تخصصـية في كلية (همرسميث) للدراسات العليا في لندن. ومحاضرة للاختصـاصـيين الأجانب في مستشفى إيرلندي في بغداد (أبن البيطار)، وكذلك محاضرات عديدة في كليات ومحافل مختلفة داخل الوطن وخارجه.

كمحاضـــر في الثقافة الطبية والعامة: محاضـــرات على جموع من المثقفين من الأطباء وغيرهم في نقابة الأطباء وأطباء الأسـنان ومحافل ثقافية ريادية في القطر في مواضـيع مختلفة. كانت مواضـيعها في: موت الدماغ، الحياة والموت، زرع الجهاز العصبي، المرور والجهاز العصبي، المجتمع والجراحة العصبية، الصداع عبر العصور، الصداع والطب البابلي، الجراحة العصبية عبر التاريخ، الساعات الأخيرة من حياة الإمام علي (عليه الســـلام) من الناحية الجراحية العصـــبية وغيرها، ألقيت في محافل قطرية مهمة مثل بيت الحكمة، المجمع العلمي العراقي، منتدى الرواد، منتدى أبي حنيفة، مجلس الخاقاني، ومحافل أخرى.

كباحث: يؤمن بأن البحث أساسي لكل طبيب قيادي. وقد قام ببحوث عديدة على الحيوانات حصل بعضها على تقييم عالمي، منها بحث أصـيل عن طريقة جديدة في زرع النخاع الشـوكي نشـر في بريطانيا. وبحث تجريبي أصـيل عن الأكياس المائية في محجر العين نشـر في الولايات المتحدة، وبحوث كثيرة في مواضـيع عديدة طبية، وطبية– هندسـية، وطبية – بيطرية وغيرها. وعمل على ارسـاء قواعد قياسـات عراقية لأجزاء العمود الفقري والسـرج التركي. نشـر ما يزيد عن سـتة وثلاثين بحثاً في مجلات عالمية وعربية ومحلية. وله العديد من البحوث الجاهزة للنشر. انتخب عضواً في لجنة البحوث في منظمة الصحة العالمية لمنطقة شرق المتوسط.

استحدث وبمبادرة شخصية. فكرة توجيه طلبة كلية الطب إلى البحوث، فكون فريقاً من مجموعة تزيد عن الخمســين طالباً من طلبة كلية الطب ووجههم للبحث العلمي في مجال البحوث الســريرية، الاحصـــائية، المختبرية، الحاسـبات، وعمل لهم ندوة حضـرها نخبة من العلماء من غير الأطباء، وندوة حضـرها خبير في البحث الطبي من منظمة الصحة العالمية في بغداد، وهذه تجربة فريدة على مستوى القطر.

كمؤلف ومترجم: ألف كتاب: (المعجم المختص في المصطلحات الطبية والعصبية)، وترجم كتاب (الموجز المصـور لفحص الجهاز العصـبي)، وهو كتاب مسـاعد أعتمد للتدريس في كلية الطب، وكتيب لأطباء العراق تبنته منظمة الصحة العالمية حول الطريق الأفضل لعلاج أصابات الرأس، ودليل كتابة الأطروحة تبنته الهيئة العراقية للاختصـــاصـــات الطبية، وهو المعتمد منها في كتابة الأطاريح الطبية.. أنجز مع زميل له ترجمة كتابين مهمين: المتلازمات، وهو كتاب ضـــخم لم ينشـــر بهذه الســـعة من قبل، وكتاب العلاج التلطيفي للسرطان، وهو معتمد من منظمة الصحة العالمية لعام 2000، وما زال مستمراً في إعداد كتاب عن التمريض العصبي، واخر مع قرص ليزري عن الجراحة العصبية.

خدمته في مجال السـرطان: عمل سـكرتيراً عاماً لجمعية مكافحة السـرطان العراقية لمدة ثلاث سـنوات، أختير عام 1999 عضواً في مجلس السرطان، ونائباً للرئيس الذي هو وزير الصحة، قام بتغييرات جذرية في طريقة عمل المجلس، اقترح وأشرف، بالاشتراك مع أستاذ في الاحصاء، على دراسة الماجستير في الاحصاء

الرياضي (كلية طب تكريت) حصلت الأطروحة على امتياز، واعتمدت الأرقام المستخلصة حول الزيادة في السرطان لبيان وجهة نظر العراق عن علاقة الزيادة السرطانية واليورانيوم مع الأمم المتحدة وغيرها. أشرف على أطروحة دكتوراه مكتبات (آداب المستنصرية). طلب، وتحقق، بأن يكون موضوع الأطروحة هو ما كتب في العراق عن السرطان منذ بداية هذا القرن وحتى الآن، والأطروحة شاملة بما كتب في العراق عن السرطان منذ بداية هذا القرن وحتى الآن، وهي على وشك المناقشة.

أقيمت له حفلات تكريمية عديدة من قبل جمعية المكتبات والتوثيق العراقية لخدماته في حقل المكتبات، إلى جانب حفل تكريمي خاص اقامته جمعية الحاسبات العراقية لخدماته في مجال الحاسبات، فضلا عن عضويته في جمعية المترجمين العراقية، وعضويته كمؤسس لمنظمة المترجمين العرب.

خدم المكتبات الطبية منذ زمن، وبدأ بإنشاء مكتبة طبية عامة وتخصصية متميزة في بيته .. ثم من خلال كونه عضواً في مكتبة الكلية الطبية أنشأ المكتبة الالكترونية في مكتبة كلية الطب وبجهود شخصية، وافتتحها وزير التعليم العالي والبحث العلمي، وعلى هامش الاحتفال بإنشاء المكتبة الالكترونية ألقى محاضرة في قاعة البكر (الفاو) قبيل الافتتاح عام 1994. وبدأ فيها عمل المكتبة بالمدلاين. وتم تدريب كادر على المدلاين. وقد قامت إحدى مؤسسات التصنيع العسكري بعمل كل الإعلانات والملصقات الحاسبية المتطورة ونقاط الدلالة، والتي لا يزال عدد منها باقياً على الحاسب لحد الان كهدية للمكتبة، وبعد ذلك أنشأ مكتبة شعبة الجراحة العصبية في مستشفى الجراحات بأهداء عدد من كتبه الخاصة به وما تبرع به عدد من الاختصاصيين من خارج القطر. وقدم مكتبة كاملة تضم ما يزيد عن 1500 مقالة مصنفة بالتفاصيل في مجال العلوم العصبية، كان قد جمعها خلال سنين طويلة في المملكة المتحدة والعراق، والأهم من ذلك كله جهده مع مكتبة الجراحات في مستشفى الجراحات التي كانت مغلقة منذ بداية التسعينات.. وفي عام 1996 قدم إلى الاتحاد العربي للعلوم العصبية 240 نسخة من كتابه (المعجم المختص بالمصطلحات الطبية العصبية) كهدية اذ وعدهم بتقديمها اليهم في إحدى الاجتماعات العلمية السابقة. استلموا الهدية عن طريق منظمة الصحة العالمية في بغداد، ولكنهم اتصلوا ليقولوا له بأن الهدية قد وصلت، ولكنهم سيدفعون عشرة دولارات عن كل نسخة. فعليه أن للخليلي عندهم 2400 دولار أميركي. وبدلاً من أستلامه المبلغ طلب إليهم شراء حاسبات للمكتبة وهكذا كان. وقدم هدية للمكتب 300 كتاب ومجلة مع ما قدمه زملاؤه الآخرون من كتب. وألحق بها شابة طموحة كفً تحمل شهادة الماجستير في المكتبات عملت بجد وإخلاص لتنظيم المكتبة وكان يدفع راتبها من كيسه الخاص. وبذا أصبحت مكتبة الجراحات، مكتبة طبية مرجعية في العراق حسب تقييم منظمة الصحة العالمية. وافتتحها السيدان وزير الصحة الدكتور أوميد مدحت مبارك ووزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور همام عبد الخالق. وكانت مناسبة مفرحة للجميع.

وبعد ذلك أنشأ مكتبة ومركز معلومات مجلس السرطان في وزارة الصحة والتي تضم الكتب والدوريات والأقراص المكتنزة في تخصص السرطان. وهي مفتوحة أمام الجميع. ويعمل الآن على تهيئة مستلزمات افتتاح مركز معلومات مركز جراحة محجر العين، ولهذه الخدمة التي يراها متواضعة في مجال المكتبات الطبية، شرفته جمعية المكتبات والمعلومات العراقية بالتكريم وسط حشد من اعضائها خلال اجتماع اقيم في مبنى اتحاد مجالس البحث العلمي العربية في بغداد 2001.

أما في مجال الحاسبات فللخليلي شرف المساهمة في زيادة الوعي الحاسبي في المجتمع الطبي، وقد بدأ عام 1983 باقتناء حاسبة صخر وبعدها صلاح الدين. ودخل في تلك السنة دورة لستة أسابيع في مجلس البحث العلمي، مركز البحوث الإلكترونية، وكان يرجئ فتح عيادته إلى الساعة السابعة كي يتمكن من الحضور الى الدورة. ومن ثم أشرافه في عام 1985 مع الدكتور سلام ناصيف اختصاصي الحاسبات على طالب ماجستير في الاحصاء بموضوع التشخيص الحاسبي للآم الظهر. وكان الطالب متميزاً وهو، الدكتور عبد الرحمن الحسيني. واستمر تشجيعه للاختلاط بين الأطباء واختصاصي الحاسبة. فأقام ندوة في مكتبة كلية الطب عام 1996 حول الطب والحاسبات شارك فيها الدكتور سعد عبد الستار مهدي، مدير عام مركز بابل للحاسبات، ومن ثم استخدم الحاسبات بشبكة متواضع في عيادته الخاصة وفيها عمل على توثيق المعلومات والصور الشعاعية، اضافة الى صور المرضى عند اللزوم. ويعمل عنده على الحاسبات اثنان من المعنيين. وقد أصبح الدكتور الخليلي عضواً في جمعية الحاسبات العراقية والقى العديد من المحاضرات حول الطب والحاسبة في محافل ثقافية عامة. وقد شجع العديد من زملائه بصورة مباشرة وغير مباشرة من داخل اختصاص الاعصاب وغيره، ولدوافع متباينة على الدخول في هذا الميدان العصري الضروري.. ولخدماته في هذا المجال ولحصوله على لقب الطبيب العربي الأول، أقامت جمعية الحاسبات العراقية حفلاً خاصاً له تضمن محاضرة القاها في مجال الحاسبات وقامت الجمعية بتكريمه، وكان تكريمها عبارة عن لوحة يعتز بها وهي مقولة شعرية رافقته منذ زمن طويل للأمام الشافعي خطت بجمالية فنية (كلما **أدبني الدهر أراني نقص عقلي وإذا ما أزددت علماً زادني علماً بجهلي)** ولقد توجت علاقته بالحاسبة بإنشاء شبكة حاسبات وباستخدام العمل بدون ورق في مركز جراحة محجر العين في مستشفى الجراحات.. وأخيراً وفي مجلس السرطان، عمل بشبكة للحاسبات تعمل الآن بكفاءة العاملات عليها.

أما في ميدان الترجمة فكان وما زال من المؤمنين بأهمية استخدام اللغة العربية في الطب، وله في ذلك رأي يقوم على اهمية تعريب الطب، ولكن بشروط صارمة لا يمكن تحقيقها بسهولة. وقد ترجم كتاباً يدرس في أميركا يختص بفحص الجهاز العصبي.

كمشرف على الدراسات العليا: أشرف على ثلاثين أطروحة جامعية للدكتوراه والماجستير والدبلوم، وساهم في اللجان الامتحانية لكثير من الأطروحات، فضلا عن مشاركته بإلقاء بحث في مؤتمرات ومحافل علمية: قطرية وعربية وعالمية تزيد عن المئة وتسع وعشرين.

كمنظم لمؤتمرات عالمية ومحلية: منها الندوة العالمية للأكياس المائية لمدة ثلاثة أيام، حضرها خبراء عالميون، وكذلك الندوة الدولية لجراحة الإصابات، اضافة الى ندوة السرطان والبيئة في دول الخليج العربي لمدة ثلاثة ايام فضلا عن المشاركة في المؤتمر الدولي للرنين المغناطيسي، ومؤتمر الخلية السرطانية وغيرها.

وكجزء من المجتمع العلمي: يؤمن ويعمل على تفعيل التعشيق والتلاقح بين العلوم. وله ارتباط مع اختصاصات عديدة خارج الطب، منها الاحصاء، الحاسبات، الآداب، هندسة الكهرباء، المحاسبة، الطب البيطري. وقد أشرف على العديد من رسائل الماجستير في هذه الاختصاصات. وكذلك عُرِفَ ببحوثه المشتركة مع المختصين بالآثار، التراث، الليزر، الترجمة، الحاسبات، الهندسة الألكترونية والمكتبات وغيرها.

كهاوي لتاريخ الطب: يهوى تاريخ الطب في وادي الرافدين، (الطب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر) وتاريخ الجراحة العصبية.. كَتَبَ عن هذه المواضيع وغيرها. وله بحوث موسعة عن رائد الجراحة العصبية في العالم السير فكتور هورسلي المدفون في جنوب العراق.

كمساهم في الإعلام العلمي: ساهم في ندوات علمية عبر التلفزيون مع علماء دين وأطباء حول مواضيع فلسفية وثقافية عامة، وكذلك مساهمته في مواضيع تخصصية في الجراحة العصبية عبر الراديو، اضافة الى مساهمته في مواضيع عامة مفيدة، وقد كَتَبَ في الصحافة المحلية مقالات علمية ثقافية تخصصية متعددة.

كمساهم في اقتراحات الاستراتيجية: تقديم مشروع لتنظيم البحوث الطبية في القطر، وتوجيهها إلى خط استثماري يخدم صحة الإنسان والمجتمع. وهو لذي نادى بإنشاء شبكة معلومات قطرية منذ منتصف الثمانينات، كما نادى بإنشاء شبكة وطنية للطب عن بعد، وذلك باستثمار خبرات العراقيين المغتربين والمقيمين في خارج الوطن بأسلوب مبرمج، وتبنى خطة التخصصات الدقيقة في كل الاختصاصات العلمية. قدم مشروع إنشاء معهد للعلوم العصبية عام 1993. ولقد تبنى المشروع وزير الصحة الدكتور أوميد مدحت مبارك. ولكن النظرة للقصيرة عند بعض المعنيين حرمت العراق من هذه الفرصة للقفز بالاختصاص الى أغلى.

أحدث إنجاز له: استحداث مركز جراحة محجر العين في مستشفى الجراحات.

وللدكتور الخليلي زيارات مهمة إلى المعاهد والمختبرات والأقسام التالية:

- معهد ناصر لجراحة العمود الفقري، في جمهورية مصر العربية عام 1999.

- مختبرات استخدام البرمجيات في الجراحة العصبية، في ميونيخ، بألمانيا، عام 1999.
- مختبرات أجهزة الأمواج الصائتة في علاج أورام الدماغ، هامبورغ، ألمانيا 1999.
- قسم الجراحة العصبية، جامعة مكيل، معهد العلوم العصبية في كندا بصحبة الأستاذ برنارد.
- قسم الجراحة العصبية، جامعة اوتاوة في كندا مع الأستاذ ديلانورة.
- قسم الجراحة العصبية، بجامعة غرب اونتاريو، لندن، كندا، مع الأستاذ بيرلس.
- قسم طب الأعصاب، جامعة مونتريال مع الأستاذ اكوايو.
- قسم الجراحة العصبية، جامعة بروكسل، بلجيكا مع الأستاذ بريه.
- قسم الجراحة العصبية، جامعة كوبنهاكن، الدانمارك.
- قسم الجراحة العصبية، جامعة هامبورغ، ألمانيا مع الأستاذ ميوكة.
- قسم الجراحة العصبية، جامعة زيورخ، سويسرا مع الأستاذ يازاركيل.
- أقسام متعددة للجراحة العصبية في المملكة المتحدة.

وشغل الدكتور الخليلي وما زال يشغل وظائف هامة منها:

- رئيس شعبة الجراحة العصبية، كلية الطب، جامعة بغداد، 1994 وحتى الآن.
- أستاذ الجراحة العصبية في كلية طب، جامعة بغداد منذ عام 1988 وحتى الآن.
- مقرر المجلس العلمي للجراحة العصبية، الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية منذ 1998 وحتى الآن.
- مدير شعبة الجراحة العصبية في مستشفى الجراحات التعليمي منذ آذار 1990 وحتى الآن.
- المشرف على مركز جراحة محجر العين، بمستشفى الجراحات التعليمي.

فيما يتولى الدكتور الخليلي الوظائف التالية:

- نائب رئيس مجلس السرطان في العراق، يرأس المجلس السيد وزير الصحة . عام 1999.
- عضو مؤازر في المجمع العلمي العراقي . عام 1999.
- عضو لجنة رعاية العلماء في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . عام 2000.
- عضو لجنة رعاية المبدعين في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي القطر . عام 2000.
- عضو هيئة البحث العلمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . عام 1999.
- عضو لجنة البحوث الصحية، منظمة الصحة العالمية 1998. عامEMRO .

- عضو اللجنة المركزية للتعليم الطبي المستمر، وزارة الصحة . عام 1999.
- عضو لجنة بغداد للتعليم الطبي المستمر، وزارة الصحة . عام 1999.
- عضو لجنة الإشراف على على الدراسات العليا في كلية الطب، جامعة بغداد . عام 1999.
- عضو لجنة النظم الصحية، وزارة الصحة . عام 1999.
- رئيس لجنة المكتبة في كلية الطب، جامعة بغداد . عام 1997.
- رئيس لجنة دراسة الطب التراثي والطب البديل . عام 1996.
- رئيس لجنة دراسة استحداث عيادات متخصصة للألم في القطر عام 1996.
- عضو مجلس السرطان في القطر، الذي يرأسه السيد وزير الصحة . عام 1995.
- عضو لجنة الجراحة العصبية في البورد العربي، دمشق . عام 1995.
- رئيس اللجنة العلمية في مستشفى الجراحات منذ عام 1995.
- عضو لجنة البحوث الصحية، وزارة الصحة . عام 1994.
- عضو اللجنة الوزارية للحصول على الدوريات والمجلات والمصادر العلمية . عام 1994.
- عضو استشاري للجنة البحوث الطبية في الوزارة . عام 1994.
- عضو لجنة إدخال الحاسوب في وزارة الصحة . عام 1993.
- عضو اللجنة الاستشارية للجراحة العصبية . عام 1993.
- عضو لجنة الاستيراد للجراحة العصبية . عام 1989.
- عضو لجنة رعاية المعوقين المركزية في وزارة الصحة، للفترة من 1983حتى 1987.
- عضو لجنة دراسة خرائط مستشفى الطوارئ والجراحة العصبية في الموصل . عام 1982.
- عضــو لجنة البحوث الطبية لوضــع خطة البحث العلمي الطبي في مجلس البحث العلمي ـــــ عام 1981.
- عضو لجنة دليل كلية طب جامعة بغداد . عام1980.
- عضو لجنة استحداث دبلوم الأذن والأنف والحنجرة في جامعة بغداد . عام 1979.
- عضو لجنة استحداث دبلوم العلوم العصبية والنفسية في جامعة بغداد . عام 1977.
- عضو لجنة استحداث فرع تخصص الهندسة الطبية في الجامعة التكنولوجية . عام 1977.

وللخليلي بحوث وكتب متعددة، فله على صعيد الكتب الصادرة:

- ترجمة كتاب (الموجز المصـــور لفحص الجهاز العصـــبي) والذي أعتمد ككتاب منهجي لطلبة كلية الطب عام 1992.
- تأليف (المعجم المختص للمصطلحات الطبية العصبية) عام 1992.
- تـأليف كتيـب (Guidelines In The Early Management Of Acute Head Injury)

طبع على نفقة منظمة الصحة العالمية 1999

- تأليف كتيب (Guidelines On How To Write A Thesis?)

طبع على نفقة الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية عام 1998، وأعتمد كدليل لطلبة الدراسات العليا بصورة عامة.

- تأليف كتاب
- International Statistical Classifiaction Of Diseases In The Field Of Neurosurgery 1999 طبع على نفقة وزارة الصحة
- رئاسة تحرير نشرة الجراحات ALJIRAHAT والتي صدرت في مستشفى الجراحات عام 1997، 1998.
- تأليف كتاب تحت الإنجاز (الجراحة العصبية لغير المختصين بها)
- تأليف كتاب تحت الإنجاز (التمريض العصبي).
- كتاب المتلازمات الطبية بالاشتراك مع الدكتور عباس الرياحي 2002.
- كتاب العلاج التلطيفي للسرطان بالاشتراك مع الدكتور عباس الرياحي 2002.

وعلى صعيد الدراسات العليا في الدكتوراه، والهيئة العراقية للاختصاصات الطبية كان اشرافه كما يلي :

- مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات الباحث: حيدر عزيز.

عنوان البحث: الصداع والتقيؤ في آفات الدماغ

السنة: 2000.

- مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات.

الباحث: فراس محمد حسن البياع

عنوان البحث: الأورام الدماغية الدباقية الخبيثة فوق الخيمة

عام 1999.

- مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات.

الباحث: د. أحمد كامل العبدلي

عنوان البحث: أهمية المفراس في تشخيص أمراض محجر العين.

عام 1999.

 مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات.

الباحث: د. عباس عبد الأمير شاكر

عنوان البحث: آفات محجر العين في العراق

السنة: 1999.

 مركز البحث: كلية الطب البيطري جامعة بغداد.

الباحث: د. ناديا حنا.

عنوان البحث: طريقة مبتكرة لزرع النخاع الشوكي

عام 1998.

 مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات.

الباحثة: طبيبة

عنوان البحث: موت الدماغ، دراسة الأمواج فوق الصانتة

عام 1996.

 مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات.

الباحث: طبيب

عنوان البحث: دراسة في تنكس العمود الفقري الرقبي

عام 1995.

 مركز البحث: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية ومستشفى الجراحات.

الباحث: طبيب

عنوان البحث: دراسة في الشدة على الرأس

عام 1994.

وعلى صعيد الماجستير والدبلوم العالي فله إشراف متواصل، ومن أبرز رسائل الماجستير والدبلوم العالي التي أشرف عليها:

 مركز البحث: كلية الطب، جامعة بغداد ومستشفى الجراحات

الباحثة: د. مي عبد الرزاق أحمد

عنوان البحث: مقارنة بين المفراس والرنين المغناطيسي في آفات الدماغ

عام 2000 .

 مركز البحث: كلية الطب، جامعة بغداد ومستشفى الجراحات.

الباحث: د. أحمد عبد الرؤوف

عنوان البحث: مقارنة بين المفراس والرنين المغناطيسي في آفات الدماغ

عام 2000.

 مركز البحث: كلية الطب وكلية الإدارة الاقتصاد، جامعة بغداد ومستشفى الجراحات

الباحث: جرو حمة أمين

عنوان البحث: دراسة العوامل التمييزية لأمراض الجهاز العصبي عند الأطفال.

عام 1999.

 مركز البحث: كلية الطب وكلية الإدارة الاقتصاد، جامعة بغداد ومستشفى الجراحات

الباحثة: ندى محمد جواد

عنوان البحث: استخدام التطبيق العاملي في أورام الدماغ

عام 1999.

 مركز البحث: كلية الطب وكلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد ومستشفى الجراحات

الباحثة: أفراح يحيى محمد

عنوان البحث: توظيف النموذج اللوجستي في أمراض الجهاز العصبي

عام 1999.

 مركز البحث: كلية الطب جامعة بغداد وكلية الطب جامعة تكريت ومجلس السرطان في العراق

الباحثة: هديل سليم الكتبي

عنوان البحث: دراسة إحصائية للأورام السرطانية في العراق

السنة: البحث الآن (2003.2002).

 مركز البحث: كلية الطب جامعة بغداد ومستشفى الجراحات.

الباحثة: طبيبة

عنوان البحث: دراسة في استخدام الأمواج فوق الصائتة في تشخيص أمراض محجر العين

عام 1996.

 مركز البحث: كلية الطب وكلية الإدارة الاقتصاد، جامعة بغداد ومستشفى الجراحات

الباحث: خريج كلية إدارة واقتصاد

عنوان البحث: دراسة عوامل تكلفة المريض في شعبة الجراحة العصبية

عام 1997.

 مركز البحث: كلية طب الأسنان، ومستشفى الجراحات

الباحث: طبيب أسنان

عنوان البحث: دراسة سريرية في شلل العصب السابع الدماغي

عام 1997.

 مركز البحث: كلية الطب، وكلية التمريض بجامعة بغداد ومستشفى الجراحات

الباحث: ممرضة جامعية

عنوان البحث: دراسة اختلاطات جراحة الدماغ في الأيام الثلاثة الأولى في العناية المركزة

عام 1997.

 مركز البحث: مدينة الطب

الباحث: طبيب أشعة

عنوان البحث: استحداث نسب عراقية لقياس الفقرات الرقبية

عام 1993.

 مركز البحث: مدينة الطب

الباحثة: طبيبة أشعة

عنوان البحث: استحداث نسب عراقية لقياس السرج التركي

عام 1993.

 مركز البحث: مجلس الشعب العلمي والجامعة التكنولوجية

الباحثة: مهندسة كهربائية

عنوان البحث: تحليل تخطيط كهربائية الدماغ بالكومبيوتر

عام 1989.

 مركز البحث: كلية الطب، جامعة بغداد

الباحث: طبيب

عنوان البحث: تاثير الرصاص على الاتصال العصبي العضلي في الحيوانات، عام 1988.

- مركز البحث: كلية الطب، جامعة بغداد

الباحث: طبيب

عنوان البحث: دراسة كيميانسجية للضفيرة المشيمية في الأرنب

عام 1986.

- مركز البحث: المركز القومي للحسابات الإلكترونية، وكلية العلوم، جامعة بغداد

الباحث: خريج كلية الإدارة والاقتصاد

عنوان البحث: تحويل جداول القرارات المحددة إلى برامج كفوءة

عام 1985.

- مركز البحث: كلية الطب، جامعة بغداد

الباحث: طبيب

عنوان البحث: الوقت التفاعلي الحركي للمحفزات الضوئية والصوتية عند مرضى الجسأة الرقبية

عام 1985.

- مركز البحث: كلية الطب، جامعة بغداد

الباحث: طبيب

عنوان البحث: التغييرات الفسلجية الآنية عند الشدة على الرأس في الحيوانات المختبرية عام 1984.

- مركز البحث: الجامعة التكنولوجية، قسم الكهرباء

الباحث: مهندس كهرباء

عنوان البحث: استخدام الكومبيوتر في التغذية العكسية لتخطيط كهربائية الدماغ في علاج الصرع

عام 1980.

وللخليلي نشاطات علمية أخرى مثل قيامه بـ :

- استحداث مشروع بحوث طلبة كلية الطب والإشراف على بحوثهم في مجال المختبر، الحاسب، الأحصاء والسريرية. 2001.
- تقديم ورقة عمل إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لإعادة تقييم البحوث الطبية في القطر وتوجيهها نحو مسار استثماري يخدم صحة الفرد 1997.
- تقديم مشروع متكامل إلى وزارة الصحة لاستحداث معهد للعلوم العصبية في محافظات القطر كافة منذ عام 1994.

- مساهمة أساسية في استحداث قاعدة المعلومات، مدلاين، في مكتبة كلية طب جامعة بغداد، جهزتها منظمة الصحة العالمية ويستخدمها أطباء القطر كافة منذ عام 1994.
- إلقاء محاضرتين متميزتين في المملكة المتحدة في مستشفى مورفيلدز وكلية الدراسات العليا الملكية في هامرسميث عام 1990.
- استحداث عيادة تخصصية لأمراض محجر العين في القطر منذ عام 1979.
- استنباط تحوير لعملية جراحية لاستئصال أورام محجر العين مع عرض فيديوي لها في مؤتمر أطباء العيون عام 1984.

وله في لجان المناقشات الامتحانية للدكتوراه حضور متميز وعلى النحو التالي:

- رئيس لجنة مناقشة في الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية. الموضوع: قطع عظام الوجه لكشف أورام قاعدة الجمجمة العميقة 1999.
- رئيس لجنة مناقشة في كلية الطب البيطري، بجامعة بغداد.

الموضوع: التغيرات الهيكلية والوظيفية في إصابات الأعصاب المحيطية 1999.

- رئيس لجنة مناقشة: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية.

أهمية المفراس في تشخيص أمراض محجر العين عام 1999.

- رئيس لجنة مناقشة: كلية الطب جامعة بغداد في التحليل الكهروفسلجي لمرض الشلل الارتعاشي عام 1998.
- رئيس لجنة مناقشة: الهيئة العراقية للاختصاصات الطبية في إصابات محجر العين عام 1998.
- رئيس لجنة مناقشة في كلية الطب بجامعة بغداد في استخدام نبتة الياس طبياً عام1996.
- رئيس لجنة مناقشة في كلية الطب بالجامعة المستنصرية، دراسة الاختلاطات الناتجة عن الشلل السفلي عام 1996.
- رئيس لجنة مناقشة في كلية الطب بجامعة بغداد في موضوع: ابتكار طريقة لعلاج مرض اللشمانيا عام 1996.

وكذلك على صعيد الماجستير والدبلوم:

- رئيس لجنة مناقشة في كلية الآداب، بالجامعة المستنصرية.

في استخدام الجراحين مصادر المعلومات في المستشفيات الحكومية في بغداد في عام 1999.

- عضو لجنة مناقشة في كلية الإدارة والاقتصاد، بالجامعة المستنصرية.

الموضوع: دراسة العوامل التمييزية لأمراض الجهاز العصبي عند الأطفال عام 1999.

- رئيس لجنة مناقشة في كلية الطب، بالجامعة المستنصرية في موضوع: استقصاء الناتج الذهني لدى مرضى داء السكري عام 1998.
- عضو لجنة مناقشة في كلية الإدارة والاقتصاد بالجامعة المستنصرية. في موضوع: تطبيقات احصائية طبية عام 1998.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية طب جامعة تكريت في موضوع دراسة تجريبية لإحداث عطب الأعصاب المحيطية بوسائل مناعية في الجرذان عام 1996.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية طب الجامعة المستنصرية في موضوع الشدة على الرأس، دراسة طبية عدلية عام 1996.
- عضو لجنة مناقشة، دكتوراه في كلية طب بجامعة صدام في موضوع تكوين الخلايا المتخصصة في المخيخ عام 1995.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية العلوم بجامعة بغداد في موضوع استخدام عقار (س 70) في علاج الأكياس المائية عام 1992.
- عضو لجنة مناقشة، ماجستير في كلية طب الأسنان بجامعة بغداد في موضوع استخدام الليزر في علاج التهاب جذر الإسنان عام 1992.
- عضو لجنة مناقشة دبلوم مهنة صحة عامة في كلية طب جامعة صدام في موضوع دراسة راجعة لمرض الأكياس المائية في بغداد لخمس سنوات سابقة عام 1992.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية العلوم جامعة بغداد في موضوع فاعلية شبيه مضاد الحيوية من جرثومة ستربتومايسز على حيوية الرويسات الأولية ونمو الكيس المائي لطفيلي المشوكات الحبيبية في الفئران عام 1992.
- عضو لجنة مناقشة، ماجستير في كلية طب الأسنان بجامعة بغداد في موضوع كسور قاع محجر العين عام 1989.
- رئيس لجنة مناقشة، دبلوم أشعة تشخيصية في كلية الطب جامعة بغداد في موضوع أهمية أشعة الجمجمة عند مرضى الصرع عام 1989.
- عضو لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الطب بجامعة بغداد في موضوع الفحص النسيجي بالمسحة لتشخيص أورام الدماغ عام 1989.

- عضو لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الهندسة بجامعة بغداد في موضوع تحليل تخطيط كهربائية الدماغ بالكومبيوتر عام 1989.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الطب بجامعة الموصل في موضوع نسبة تكلس الغدة الصنوبرية عام 1989.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الطب بجامعة بغداد في موضوع علاقة الغدة الصنوبرية بالعقد السمبثاوية العنقية العليا عام 1988.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الآداب الجامعة المستنصرية في موضوع التخطيط لإنشاء مكتبة طبية في القطر عام 1988.
- عضو لجنة مناقشة، دبلوم أشعة في كلية طب جامعة بغداد في موضوع تضيق العمود الفقري القطني في عام 1987.
- رئيس لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الطب الجامعة المستنصرية في موضوع تأثير التحفيز الكهربائي لخلية المخيخ الوسطية (فاستيجيال) في التنظيم اللاإرادي لدرجة حرارة الجسم في عام1986.
- عضو لجنة مناقشة، ماجستير في كلية طب جامعة بغداد في موضوع تأثير التحفيز المتكرر للعصب الحركي على إجهاد الاتصال العصبي العضلي عام 1985.
- ممتحن خارجي في كلية الطب بجامعة البصرة عام1985.
- عضو لجنة مناقشة، ماجستير في كلية الطب بجامعة بغداد في موضوع بعض الدراسات الخميرية الكيميانسجية في أمراض العضلات عام 1984.
- عضو لجنة مناقشة، دبلوم أشعة في كلية طب جامعة بغداد في موضوع التغيرات في السرج التركي للجمجمة عام1983.

أما البحوث التي ألقاها في المؤتمرات فهي محليا:

- أورام الدماغ في العراق، مؤتمر السرطان في العراق.
- بحث مشترك حول: التمريض العصبي بعد عملية فتح الجمجمة خلال الثلاثة أيام الأولى، مؤتمر مدينة الطب 1997.
- بحث مشترك حول: حساب تكلفة المريض في شعبة الجراحة العصبية، مؤتمر مدينة الطب 1997.
- بحث مشترك حول: موت الدماغ عند الطفل الرضيع باستخدام الأمواج فوق الصانتة، مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1996.

- بحث مشترك حول: استخدام الأمواج فوق الصانتة لتشخيص أمراض محجر العين، مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1996.
- بحث حول: مرض جديد نادر، مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1995.
- بحث حول: أورام الدماغ في العراق، مؤتمر كلية الطب جامعة صدام 1995.
- بحث حول: (رجل عظيم في أرض عظيمة)، حياة مؤسس جراحة الدماغ في العالم السير فكتور هورسلي ومدفنه في مدينة العمارة، مؤتمر كلية طب جامعة صدام 1995.
- بحث حول: الطب البابلي والصداع، مؤتمر طب التراثي على هامش مهرجان بابل 1995.
- مقالة حول: فلسفة التمريض واستعراض للخدمات في شعبة الجراحة العصبية، افتتاحية مؤتمر كلية التمريض 1995.
- محاضرة المؤتمر في جمعية أطباء العيون العراقية حول أمراض محجر العين في العراق، 1998.
- محاضر ضيف في كلية التمريض، جامعة بغداد حول التمريض العصبي، 1998.
- محاضر ضيف في جمعية الأشعة العراقية حول اورام محجر العين في العراق، 1998.
- محاضرة في نقابة أطباء العراق، حول خواطر في الطب والطبيب، 1997.
- محاضرة في مؤتمر نقابة أطباء النجف وجامعة الكوفة، حول الطب والطبيب، 1997.
- محاضرة في نقابة أطباء ديالى، حول الحياة والموت، 1997.
- محاضرة في مؤتمر كلية الطب، حول الطب والطبيب في القرن الحادي والعشرون، 1997.
- محاضرة الشهر في نقابة الأطباء، الصداع عبر العصور، 1996.
- محاضرة في ملتقى الرواد (مجمع رواد الثقافة والعلم في بغداد)، المجتمع وجراحة الدماغ، 1996.
- محاضرة في الجامعة التكنولوجية، المجتمع وجراح الدماغ 1996.
- محاضرة في مؤتمر الحوادث المرورية، الإصابات المرورية وتفاديها 1996.
- محاضرة في نادي الصيد، وفي جمعية الحاسبات العراقية، الإدراك والحاسبة 1996.
- محاضرة الشهر في نقابة الأطباء، المرور والمجتمع 1996.
- محاضرة في منتدى أبي حنيفة، الحياة والموت 1995.
- محاضرة الموسم، الحياة وموت الأعضاء، 1995.
- محاضرة في منتدى الكاظمية (الخاقاني) الموت وموت الرحمة، بحضور لفيف من المثقفين 1995.
- محاضرة في كلية الطب البيطري للكادر التدريسي، بايولوجية مرض الأكياس المائية 1994.
- محاضرة الشهر في نقابة الأطباء، زرع الدماغ والنخاع الشوكي 1994.

- محاضرة في مستشفى اليرموك، عن الليزر في الطب 1993.
- محاضرة في نقابة الأطباء، الموت وموت الدماغ 1993.
- محاضرة في نقابة أطباء الأسنان، عن موت الدماغ 1993.
- محاضرة في وزارة الصحة لمدراء المستشفيات حول طب الكوارث 1992.
- محاضرة في مؤسسة المعاهد الفنية حول الليزر في الطب، 1990.
- محاضرة في مجلس البحث العلمي عن الموت وموت الدماغ 1988.
- محاضرة في مستشفى السليمانية التعليمي عن علاج حالات الشدة على الرأس 1988.
- محاضرة في مستشفى الكندي العام عن الأسبقيات في حالات الشدة على الرأس 1988.
- محاضرة في مستشفى أبن البيطار (مستشفى إيرلندي في بغداد) عن الأكياس المائية في محجر العين 1987.
- محاضرة في مستشفى الحلة الجراحي، الإحالة إلى مراكز الجراحة العصبية، 1987.
- محاضرة في مستشفى الكاظمية العام عن مرض الأكياس المائية، 1987.
- محاضرة في مستشفى صلاح الدين العسكري عن علاج الشدة على الرأس 1986.

ألقى الخليلي البحوث التالية في منتديات فكرية وعلمية:

- بحث حول: مرض مويا مويا، مؤتمر الجمعية العراقية للعلوم العصبية 1995.
- بحث حول: وبائية مرض الأكياس المائية في العراق، 1994.
- بحث حول: أمراض محجر العين، مؤتمر أطباء العيون، 1993.
- بحث حول: الأكياس المائية في محجر العين، مؤتمر أطباء الأشعة، 1993.
- بحث حول: تدرن الجهاز العصبي، مؤتمر أطباء الصدر والقلب 1993.
- بحث حول: استخدام الليزر في الطب، محاضرة يوم العلم في كلية طب بغداد 1990.
- بحث حول: القيلة السحائية الدماغية الجبهية، مؤتمر دائرة صحة بغداد 1990.
- بحث مشترك حول: دراسة مقارنة لمرض الأكياس المائية في العراق، مؤتمر مجلس البحث العلمي 1989.
- بحث مشترك حول تحليل تخطيط كهربائية الدماغ، دورة الليزر جامعة بغداد 1987.
- بحث حول أورام الدماغ في العراق، مؤتمر اليوبيل الفضي لجمعية مكافحة السرطان العراقية 1987.
- مقالة حول الشدة على الرأس، يوم العلم، كلية طب جامعة بغداد 1987.

- بحث حول التوثيق العلمي والقطاع الطبي، الملتقى الوطني للتوثيق العلمي بالاشـــتراك مع منظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية 1987.
- بحث حول خبرة شخصية في الأكياس المائية في محجر العين، مؤتمر جمعية أطباء العيون العراقية 1986.
- بحث حول العلامات العصبية للجسأة الرقبية، مؤتمر جمعية أطباء التأهيل والعلاج الطبيعي العراقية 1986.
- بحث حول إصابات النخاع الشوكي، مؤتمر هيئة رعاية المعوقين 1986.
- بحث مشترك حول زرع النخاع الشوكي، دراسة تجريبية، مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1986.
- بحث مشـترك حول صـعوبات فحص جهاز المفراس (الطبقي المحوري)، مؤتمر كلية طب الجامعة المستنصرية 1986.
- بحث حول الشدة على الرأس في الحرب في مؤتمر كلية طب الجامعة المستنصرية 1986.
- بحث مشـترك حول وقت رد الفعل العصـبي عند مرضـى الجسـأة الرقبية في مؤتمر الجمعية الطبية العراقية، الموصل 1986.
- بحث حول الأسبقيات في علاج الشدة على الرأس في مؤتمر محافظة كربلاء 1986.
- بحث حول إصابات المرور العصبية في مؤتمر كلية طب جامعة العراقية 1985.
- بحث مشترك حول وذمة العصب البصري، دراسة مقارنة بين أمراض الدماغ والعيون في مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1985.
- بحث مشترك حول التغيرات الجثمانية الآنية في حالات الشدة على الرأس في الأرنب في مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1985.
- بحث حول موت الدماغ في مؤتمر المجلس الأعلى للجمعيات العلمية العراقية 1985.
- بحث حول الإصابات البصرية في حالات الشدة على الرأس في مؤتمر جمعية أطباء العيون العراقية 1984.
- بحث حول آلام الظهر الجراحية العصبية في مؤتمر الجمعية الطبية العراقية 1988.
- بحث حول خبرة شخصية في أمراض محجر العين في مؤتمر كلية طب جامعة بغداد 1984.
- بحث حول استخدام الحاسوب في تشخيص أمراض الظهار في مؤتمر اتحاد الأطباء العرب، بغداد 1989.
- مناقشات ومشاركة فعالة في المؤتمر العربي لطب العيون عند الأطفال، بغداد 1986.

- بحث حول أين نلتقي ســـوية!! الجراحة العصـــية وجراحة الفكين في مؤتمر اتحاد أطباء الأســـنان العرب، بغداد 1984.
- تنظيم ومشاركة فعالة في المؤتمر الأول للسرطان والبيئة لدول الخليج العربي، بغداد 1981.
- بحث مشـــترك حول الشـــدة على الرأس عند الحيوانات المختبرية في المؤتمر العربي للعلوم الفسيولوجية، الأردن 1979.
- بحث مشـــترك حول متلازمة بعد الشـــدة على الرأس عند الأطفال في المؤتمر العربي لإصـــابات الأطفال، بغداد 1978.

وله حضور في المؤتمرات العالمية المهمة، ومن حضوره المتميز إلقاءه البحوث التالية:

- بحث حول: (رجل عظيم في أرض عظيمة)، هورســـلي في وادي الرافدين، المؤتمر الثامن للاتحاد الآسيوي الاسترالي لجراحة الدماغ، لاهور، باكستان، 1999.
- بحث حول: أورام محجر العين في العراق، مؤتمر العيون العربي الأفريقي، القاهرة، مصر، 1999.
- بحث حول: زرع النخاع الشوكي، مؤتمر جراحي الدماغ العرب، شرم الشيخ، مصر، 1998.
- بحث حول: الأكياس المائية في محجر العين، مؤتمر اتحاد الأطباء العرب الأمريكيين بغداد 1989.
- بحث حول: تجارب مختبرية للأكياس المائية في محجر العين، الندوة العالمية الأولى للأكياس المائية بغداد 1989.
- بحث مشـــترك حول: تحويل جداول القرارات إلى برامج كفوءة (الآم الظهر)، مؤتمر بغداد العالمي للحاسبات بغداد 1986.
- بحث حول: التقييم العصـبي للمصـاب بكسـور الوجه، المؤتمر الدولي الثالث والعربي الثاني عشـر لأطباء الأسنان بغداد 1982.
- بحث حول: الشـــدة على الرأس في العراق: المؤتمر الدولي الثاني والحادي عشـــر العربي لأطباء الأسنان بغداد 1980.
- بحث مشترك حول: التكهن في حالات أنفجار أم الدم الدماغية، المؤتمر السنوي لجمعية اختصاصي علم الأمراض البريطانية، ليفربول 1976.
- بحث مشـــترك حول: تحليل ضـــغط الدماغ بواســـطة الكومبيوتر وأهميته الســـريرية واســـتجابات الممرضات، المؤتمر العالمي الثالث لضغط الدماغ، كروتنكن، هولندا 1976.

وكمحاضر ضيف ألقى في المملكة المتحدة:

- محاضرة في مستشفى مورفيلدز في لندن مع عرض فلم فيديو حول الأكياس المائية في محجر العين 1990.
- محاضرة في كلية الدراسات العليا الملكية في هامر سميث حول الأكياس المائية 1990.

اما في العراق فقد كان:

- محاضرا ضيفا في جمعية الحسابات العراقية حول نقل الكتل بسرعة الضوء، نادي العلوية، 1999.
- محاضرة المؤتمر في مؤتمر نقابة أطباء النجف وجامعة الكوفة حول تحديات القرن الحادي والعشرين باستخدام وسائل الطب غير التقليدية، 1999.
- محاضر ضيف في جمعية الحاسبات العراقية حول استخدام البرمجيات في تطوير وجراحة الدماغ، نادي العلوية، 1999.
- محاضرة في منتدى الكاظمية (الخاقاني) التراثي حول الاسراء والمعراج والعلم الحديث، 1999.
- محاضر ضيف في كلية الهندسة جامعة صدام حول نقل الأجسام بسرعة الضوء، 1999.
- محاضرة في مستشفى راشد، دبي (الإمارات العربية المتحدة) حول زرع النخاع الشوكي 1998.
- محاضرة في مركز فرح للتأهيل في مدينة الحسين الطبية، عمان، الأردن حول زرع النخاع الشوكي 1998.

ومن الجهات التي جرى التعاون معها لإنجاز البحوث نذكر ما يلي:

- كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد في 1978، 1985، 1996، 1999، في أطروحات ودراسات مشتركة.
- الجامعة التكنولوجية، بغداد، 1979، 1984، 1989، 1996 في أطروحات وبحوث مشتركة.
- كلية العلوم في جامعة بغداد، 1985، 1992 أطروحات وبحوث.
- مركز البحوث الألكترونية والحاسبات، مجلس البحث العلمي، 1986، 1989، بحث وأطروحة مشتركة.
- المركز القومي للحسابات الالكترونية، 1985، 1989، بحوث وأطروحات.
- المعهد المتخصص الهندسي في وزارة الصناعة، تصنيع آلة مبتكرة 1986.
- كلية طب جامعة صدام، بحوث مشتركة، 1988–1994.

وساهم في تنظيم مؤتمرات وندوات عديدة من أبرزها:

- استضافة الوفد المصري: كانون الثاني 1998.
- استضافة الوفد السوري: نيسان 1998.

- استضافة الوفد الفرنسي: جراحة الدماغ والأشعة، تموز 1997.
- استضافة الوفد السويسري: جراحة الدماغ والأشعة، تشرين أول 1997.
- استضافة الجراح المصري: علاء غيبتة، 1997/12/4.
- مؤتمر مدينة الطب، اللجنة العلمية 1997.
- أورام الدماغ: تصنيفها وعلاجها، وأمراض الدماغ الوعائية، مستشفى الجراحات. ساهم فيها اختصاصيون عراقيون وفرنسيون 1996.
- تنظيم ندوة مرض جنون البقر، مستشفى الجراحات 1996.
- ندوة السكتة الدماغية، إدارة الجلسة الختامية، جمعية أطباء العلوم العصبية العراقية وأطباء القلب والصدر العراقية 1996.
- ندوة التشوهات الولادية، إدارة جلسة، كلية طب جامعة صدام 1996.
- مؤتمر هيئة رعاية المعوقين، اللجنة العلمية 1994.
- تنظيم وإدارة الندوة العالمية الأولى لمرض الأكياس المائية في العراق وشارك فيها اختصاصيون من أنحاء مختلفة من العالم، بغداد 1989.
- تنظيم مؤتمر جراحة الإصابات، شارك فيه اختصاصيون عراقيون وعرب وأجانب، لمدة أربعة أيام 1987.
- مؤتمر الرنين المغناطيسي وتطبيقاته الطبية، شارك فيه اختصاصيون من العراق وخارجه، اللجنة العلمية بغداد 1986.
- تنظيم ندوة الخلية السرطانية، شارك فيه العديد من علماء العراق 1985.
- تنظيم مؤتمر السرطان والبيئة لأقطار الخليج العربي، اللجنة العلمية، 1981.

وللدكتور الخليلي عضويات في الجمعيات العلمية والفكرية التالية:

- الجمعية العراقية للعلوم العصبية (نائب رئيس الجمعية) 1996–1999.
- جمعية جراحي الدماغ البريطانية.
- جمعية جراحي الدماغ العربية.
- جمعية جراحي الدماغ الآسيوية الأسترالية.
- جمعية مكافحة السرطان العراقية (سكرتيراً عاماً لثلاث سنوات).
- جمعية الهلال الأحمر العراقية.
- جمعية أطباء العيون العراقية.

مبتدأ الحوار

لســـت ممن يتوهمون بان الكتابة عن عالم بحجم المفكر والطبيب عبد الهادي الخليلي تدخل في إطار العواطف المجردة، ذلك لانني، ومنذ زمن طويل نسبيا، اتملى شخصيات فذة مثل الخليلي، تحيط بزمننا الحاضر وتلونه بالوان زاهية، فابحث بجدية و[حماسة] عن ذلك الكم الهائل الذي انتج هذه الشخصيات وجعلها تتبوأ مواقع مهمة في حركة التأثير، وتفعل فعلها الاسطوري لانتاج قناعات جديدة تؤثر في مسيرة حياتنا المعاصرة.

فالخليلي الطبيب، يتوحد سلوكيا، مع الخليلي المفكر، لان الرجل يدرك، بحكم خبرته وعمقه الاسري، معنى ان يكون الطبيب انسانا فاعلاً، فتقنية الطبيب ليست عبئا على سلوكيات المفكر، فالتقنية سلوك حضاري لاينيّ يمثل اعلى درجات الخلق الانساني عندما تتداخل المادة مع الروح، وعلاقة الطبيب بالمريض ليست علاقة ميكانيكية تنتهي بالموت او باستمرار الحياة، بل تتجاوز هذه الحدود صوب اقامة علائق متميزة يكون فيها الطبيب كما المريض طرفاً مهما في معادلة الوجود، وعندها تخضع تقنية الطب لروح الانسان المبدع المتجدد الفاعل المنسجم مع تفاعلات الحياة.

كنت اعرف تماما، عندما فكرت بالشروع بتسجيل دقائق مسيرة الحكيم الخليلي، انني سأقف امام تجليات المفكر الخليلي ونظرته الكونية بكل امتداداتها الفلسفية، فالخليلي كل لايتجزا، وفعله ممتد الى كل الجهات، لانه حالة ديناميكية فاعلة أن في الطب ام في الفكر، فهو لا يتعامل مع الطب كحالة سكونية ستاتيكية، بل يبحث عن ميتافيزياء الاشياء، يحللها، ويعيدها الى اصولها حالة بعد اخرى.

من هنا، وعندما وضعت خطوطا عريضة لحواري المعمق مع الدكتور المفكر عبد الهادي الخليلي، كنت ابحث عن اسئلة تتجاوز حدود التقليد صوب استشراف افاق فكر الخليلي، ونظرته الدقيقة الى كل مايحيط بالانسان، لذلك لم اتوقف طويلا عند المفردات التقليدية التي تحكم عمل الطبيب، بل تجاوزت ذلك الى الافعال الناتجة عن سلوك الطبيب المتفاعل مع دقائق الحياة، بعيدا عن تراجيديا الموت.

بمعنى ان الحياة فعل آني حركي، والموت حالة سرمدية مقررة سلفا، وهي ليست جدارا بين امكانية الانسان وحركته المستمرة لان جدلية هذه العلاقة تكمن في هذا الجدار لصالح قدرة الانسان على صنع المستحيل.

في ذات مرة، شـــدتني طروحات الدكتور المفكر الخليلي بازاء اللحظات التي تتوقف فيها مســـيرة حياة الانسـان. كان الخليلي يحاضـر في مجموعة كبيرة من مثقفي بلادنا في جلسـة خصـصـت لطرح افكاره بازاء الموت، في قاعة كبيرة من قاعات بيت الحكمة البغدادي. وعلى مدى أكثر من ساعة لم اشعر ان الخليلي الذي كان يتحدث عن الموت قد حاول زعزعة ثقة الانســـان بالحياة، ليس بمعنى تغليب التشـــاؤم على التفاؤل، ولكن من منطلق نظرته الفلسفية الى الحياة كفعل دائم يتحدى ازلية الموت.

وكل الذين يحيطون بالخليلي يقولون بفاعلية الرجل وقدرته الدائمة على الابداع، وتطويع كل الادوات التي في مخيلته لتطوير هذا الابداع، ليس لنرجســـية تمســـك بتلافيفه، ولكن لان الرجل مغامر كبير يؤمن بان المغامرة تســـاوي الابداع، وهو لهذا كله يبدو متحديا لقوانين الجاذبية، وبين يديه تتحول الاشـــياء لتكون رصيده الابداعي في حياة يدرك ان ديمومتها تتصل دائما بالافعال المؤثرة، لذلك، فأنني، عندما اتطلع الى الرجل، حتى وهو يمارس عمله الطبي في عيادته، ادرك بيسر انه يبحث عن ما وراء الحالة، وكأني به يمسك بالظواهر محللا، فهو لاينظر الى [الورم الخبيث] في الدماغ على انه نتيجه حتمية لنمو الخلايا يشـــكل عشـــوائي، فهذا [الورم] مثلا فعل تحد يســـتلزم ردا اســـتباقيا، بمعنى ان يكون الدماغ وعاء نظيفا لكينونة الانسـان .. من هنا، اعتقد بأستمرار ان [الحكيم] الخليلي يتيح لـــ [المفكر] الخليلي فرصـة التعامل مع الظواهر بعيدا عن ميكانيكية الطب، وبتركيز خاص على ان المفكر لايلغي قطعا دور الطبيب، بل يكون عونا له في تعامله مع الاشياء المحيطة به.

وثمة تساؤل محض يستبق كل التساؤلات المحتملة لرؤية الخليلي الى الحياة، يتحدد في الآتي:

هل الحياة بالنسـبة للخليلي هي محور كل تداعيات فكره، ام ان الحياة تتمحور في دائرة اهتماماته كطبيب ينظر الى الموت، كما الجواهري الكبير، الذي نظر الى الذئب المترصـــد وقد ترآى فوق نيوبه دم الاخوة والاقارب والصحاب؟! لقد تجاوز الخليلي ماراه الجواهري فيمن اقعى بهم الموت؟!

هذه اشكالية من لم يعرف الخليلي جيدا، فتراه يطرح مثل هذا التساؤل الذي اسميناه محضا!

حتى عندما يمســك الموت بتلافيف احد مرضــى الخليلي المنتشــرين في كل مكان، يكون بمقدورنا ان نرى مسحة الحزن التي تتسع على قسمات وجه هذا الانسان، لكن سرعان ما يتجه بك الخليلي صوب زاوية اخرى، تنسى مع اتجاهك اليها، شكل تلك المسحة الحزينة، فيشمر الخليلي ــ هكذا ترى ــ عن ساعديه

ليبدأ رحلته الجديدة، مع يوتوبياه، وكاني به قد جعلها ماوى الراحلين، ليحاورهم في مملكته هذه، وهو يعرف اسماء [رعاياه] اسما اسما!

لذلك فأنني اقوى على القول بأن رؤية الخليلي الى الاشـــياء كطبيب حاذق تتجاوز الرؤية التقليدية الى الاشياء، فهو فيلسوف وحكيم معا.

ربما كنت الصـــحفي الوحيد الذي تابع الخليلي عن بعد، ليس لانني مراقب جيد، وليس لان تقنياتي الصـــحفية تقوم على مبدأ المراقبة عن بعد. كما ليســـت ممن يتوهمون اطلاقا بأن المراقبة عن بعد تتيح موضوعا صحفيا متكاملا ومقنعاً لمن يقرأه. السبب يكمن ـــ قطعا ـــ في ان شخصية مركبة كشخصية الخليلي، تســـتلزم ادوات اســـتثنائية تناســـب ســـبر اغوارها. اعترف هنا بانني كنت، عندما بدأت هذا الاســلوب في متابعة الخليلي، اســجل برؤية ملاحظات دقيقة كونتها عن بعد لرســم شــخصــية الخليلي الخاصة وحسب، حتى عندما حاورت كثيرين، كانوا لسنوات الاقراب الى الرجل، لم احطهم علما بفكرتي في ان اكتب سفرا اؤطر فيه مسيرة الحكيم الخليلي، انسانا قبل كل شيء !؟

وقد اكتشفت خلال حواراتي تلك، ان كل الذين حاورتهم لم يتخيلوا [سداً] يفصل بين والخليلي الحكيم، والخليلي المفكر، والخليلي الانسـان.. من وجهة نظري. كانت الصـورة واحدة، ومن سـاعدتني هذه الرؤى على ان ابدأ بثقة وحماسـة رحلتي في تسـجيل رؤية صـافية بأزاء هذه الشـخصـية المركبة، دون ان اعطيها شيئاً مني او أأخذ شيئا منها، بمعنى اكثر دقة ان اكون موضوعيا فيما اسجل، مستقيا ذلك من مشاهداتي اولا، ونظرتي الى هذا الانســـان ثانيا، وقدر تي في ان ازاوج بين الذاتي والموضـــوعي، أي ان لا اعتبر موجوداتي من هذه المشـــاهدات والنظرات حقيقة نهائية، ذلك لان رؤى الاخرين تعطي الخليلي، واي انسان اخر، صورة من جانب ثان، تتكامل، حتما، عندما تجد نصفها على الجانب الاخر، حيث تقف موجوداتي معبرة عن رؤيتي الخاصة ككاتب ومراقب ومحاور !

وما دام الامر هكذا، فلا باس من ان نبدأ ايضا ببعد ثالث يكمن في رؤية الخليلي الى الاشياء عبر حوار اجريته معه، اخترت فيه اسئلة استنثائية، ذلك لأنني، كما قلت مسبقا، ادرك بأن التعامل مع شخصية استثنائية يستلزم قدرا من الادوات الاستثنائية لسبر أغوام هذه الشخصية، وطرحها بشكل موضوعي دون ان تمس جوهرها، أي ان تترك لها حرية التصـرف بكل تلك الادوات لتخرج الى العالم واضـحة، كما هي دائما دونما ظلال تقف حائلا بينها وبين الرائين.

وأجزم هنا، بأن الحوارات المعمقة ستتيح لدارسي الشخصيات الفذة على كوكبنا الارضي، فرصة الاحاطة بكل عناصر تكوين هذه الشخصيات، ليس لخطورة حوارات كهذه فقط وليس لان الشخصيات الفذة متمكنة بطبيعتها من الاجابة على اسئلة المحاورين، ولكن لان الاسئلة عندما لا تدور في الاطار النظري تصبح قادرةً على ان تسمي الاشياء بأسمائها الحقيقية، من هذ الاحساس افترض ان الخليلي حكيم ومفكر عالمي، فلم احطه خلال حواري معه بفرضيات مسبقة تقوم على قائمة الممنوعات في عالم ثالث مشدود الى تاريخ وجغرافية خاصين، لذلك فانني [تخيلت] الارض التي يقوم عليها الخليلي الحكيم والمفكر والانسان بسعة قارات العالم الخمس .. وله عبر هذا الحضور كل الحق في ان يفكر بصوت عال دونما قيود. من هنا كانت مجريات هذا الحوار متحررة من كل قيود تلك الممنوعات القائمة في عقول الناس اولا.

ولعل القارئ سيقف على دقائق ما استعرضته في مقدمة هذا الحوار عبر اجابات الدكتور الخليلي المفعمة بالصدق والصراحة والثقة بالذات والايمان المطلق بقدرة الانسان الخلاقة المبدعة.

احصـــى العلامة الدكتور حســـين علي محفوظ عدد الاطباء القدماء، فوجد ان عددهم في [بيت] الخليلي فاق عدد من انجبتهم الاســـر الطبية في تأريخ الاســـلام، وهذا [الاحصـــاء] لوحده يدفعني للتشـبث لاجعله مدخلا لحواري معكم ايها الطبيب والمفكر والمتفلسـف عبد الهادي الخليلي. لذلك دعني اسألك سؤالا محددا:

ترى ما الســـر في ان يمتهن الرجال من ال الخليلي مهنة الطب، وهل في اطباء هذا [البيت] من تجاوز مثلك حدود الطب ليكون في صـميم الفكر والفلسـفة. ثم، هل للنسـاء من [بيت] الخليلي، حصـتهن في مهنة الطب؟ وما الذي سطره قدماء ال الخليلي من الاطباء، كوصـايا لمن ياتي بعدهم، ممارسـا لهذه المهنة الانســـانية الرفيعة، وهل كانت مهنة الطب هذه عبئا على ال الخليلي، ام كانت شـــيئا اخر يقترب من الاحساس بالسعادة؟

. بدأت رحلة ال الخليلي الطبية الحديثة منذ ما يزيد عن قرنين بجدهم [الخليلي الثالث] الذي مارس الطب على مسـتوى المجتمع الكبير، وذاع صـيته في بغداد والكاظمية والفرات الاوسـط، حتى قال فيهم الشـاعر الفذ عبد المنعم العكام:

آل الخليلي بين الناس إن ذكروا وحال للسبق في الافضال ميدان

قامت لتشهد في بغداد فضلهم من الخلائق أرواح وابدان

الدين والعلم والأخلاق شيمتهم وسيرهم في الورى بر واحسان

وذكر مآثرهم صاحب كتاب [ثورة النجف] حسن الاسدي مؤطرا جهد العلامة الحاج حسين الخليلي في اعادة حفر القناة والتي تورد الماء الى النجف قائلا: [وقد بقيت هذه القناة مطمورة حتى عام 1319هـ، حيث بديء باصلاحها في عهد العلامة الحاج ميرزا حسين الخليلي وجعل لها مجرى من الفرات ففرغ منها عام 1327هـ] وأنشأ المدرستين: الكبيرة المعروفة بمدرسة القطب، والصغيرة القريبة منها.

كتب المرحوم الاســـتاذ محمد علي البلاغي صـــاحب مجلة [الاعتدال]، المتوفى عام 1976، وبخط يده مســـودة قال فيها [الخليليون من أشـــهر الاســـر العلمية البارزة في النجف ومن أكثرها نفعا للبلاد. فلقد تشـاطر رجالها خدمة الناس شـطرين وقسـموا وظائفهم التي أوجبوها على أنفسـهم الى قسـمين مهمين،

فشـطر منهم اخذ على عاتقه حفظ الارواح والنفوس من طريق الدين، فتسـنموا كراسـي الجهاد والتقليد وأخذوا بزمام الرئاسـة الدينية فقاموا بأداء الواجب خير قيام، وقادوا منهج الشـرع القويم، وانتشـلوا العامة من هوة الجهل والضلالة حتى اصبح العالم الاسلامي لهم من الشاكرين، والشطر الثاني : التزم بحفظ صحة الابدان ومكافحة الامراض والاسـقام فكانوا امنع سـد لصـد تيار الامراض واقوى سـناد لابقاء الصـحة والعافية، لذلك نبغ فيهم مشاهير في العلم والتقليد واعلام نطس في الطب والعلاج خدموا الناس ولاسيما النجف ردحا من الزمن غير قصير وحتى خلفهم هذا اليوم] .

امتهن الرجال الطب لانهم جلبوا على ذلك من خلال تعايشـــهم مع آبائهم وأعمامهم، اما النســـاء فلم يمارسن الطب كالرجال، ولكنهن كن اقدر من غيرهن من نساء تلك الاجيال على ابداء الاراء والنصائح الطبية من قريناتهن بسبب اختلاطهن برجالهن وسماع ما يدور بينهم.

لم تكن المهنة الطبية عبئا على ال الخليلي، بل كانت هواية وشـريعة وسـعادة، لم يجمع أي منهم المال ولم يورث اهله العقار والاموال بالرغم مما كان يدخلهم من المال من خلال ممارسـتهم الطب. لان سـعادتهم تكمن في المهنة والالتزام بأخلاقها.

□ يبدو الخليلي عبد الهادي ســـعيدا وكأنه يمســـك بزمام [دنياه]! ترى هل هذه هي حقيقة الخليلي الداخلية: السعيد، والممتلئ حبوراً؟

ـــ صحيح جدا انني ابدو، سعيدا، وهذا هو واقعي دونما زيادة او نقصان، ومرد هذه السعادة الدائمة الى انني مقتنع بكل ما يحيط بي، والسـعادة في رؤيتي تنبع من داخل الانسـان ولا تصـل اليه من خارج هذه الاعماق، البئر حفرة عميقة ينبع الماء من داخلها، ولا يمكن البتة ان نســـمي حفرة نحفرها ونملاها بالماء بئرا! ذلك لان الماء سـرعان ما ينضـب وتجف هذه الحفرة المصـطنعة، من هنا فأن السـعادة كمياه الابار تماما تنبع من الاعماق. لقد مرت بي، كما مرت بآخرين، فرص كثيرة، ســـواء في الشـــرق ام في الغرب، وكان بالامكان استثمارها والاستفادة من نتائجها لتوفير ظروف عيش تنسجم مع متطلبات العصر. ومن خلال تلك الفرص كان بالامكان قطعا ان احقق المزيد من احلامي وطموحاتي المادية مثلا، لكنني، ويشـهد الله على ما اقول، لم اشـعر بأية حالة ندم، ذلك لان ما تحقق لي انسـجم تماما مع قناعاتي، وها انذا اشعر بأنني اديت رسالتي في الحياة، ووفرت لـ[المرضى] ولطلابي واصدقائي وعموم مجتمعي ما اشعرني بأنه ذو فائدة عميمة، مما اسبغ هذا الشعور علي سعادة تترأى لك ولغيرك، يا سيدي.

□ اين تقف المرأة، هذا الكائن الخرافي كما اسميها انا، من عالم عبد الهادي الخليلي: في قلبه، ام في عقله، وهل يعتقد بخرافية هذا الكائن الجميل؟

المرأة: سبحان الله على هذا الابداع. لقد كنت تواقا خلال سني حياتي للقاء التي ترضيني. والتي ترضيني يجب أن تكون [لطيفة]. وهذه الصفة تختلف عندي عن قياسات الجمال السائدة، فقياساتي ليست لها علاقة مباشرة بشكل الأنف ولون البشرة والطول وطبيعة الشعر والخصر الخ، ولكنها مجموعة أشياء تتداخل وتجعل المرأة جميلة لطيفة في نظري، تسترعي اهتمامي ومشاعري، فالمرأة اللطيفة هي التي تتمتع بجاذبية الروح وتكون، خفيفة الدم، عميقة الفكر، تميل الى التأني قبل الاباحة بالأفكار، بعيدة النظر، لا تتاثر بالصغائر، مقبولة المنظر ، ولله الحمد فقد حباني الله بما أتمنى وأكثر، فأم ياسر، زوجتي العزيزة، قد تمثلت فيها الصفات التي كنت أتمنى، وقد أرضت عقلي وروحي، ويبقى الانسان مؤتمرا بقوله تعالى [واما بنعمة ربك فحدث]، فهناك الجمال الروحي المنتشر في المجتمع الذي يجب أن يتحدث عنه المرء، وهناك الجمال الجسدي الذي يجب ان لا يتعامى عنه الذي يبغي التمتع بالجمال، وقدرة الباري على الابداع .

□ الشاعر الانكليزي اللورد بايرون يقول: انني لأبحث عن امرأة تحبني بصدق الملائكة!! ترى هل عثرت على نصفك الذي يحبك بصدق الملائكة، وهل تعتقد بجدوى الملائكة في عالم يقترب من حافاته النهائية، حيث يمارس الشياطين ادوارهم بحرية كاملة؟

ـــ نعم عثرت، ولله المنة والحمد، على امرأة كالتي قال عنها اللورد بايرون، تحب بصدق الملائكة.. وهذه المرأة هي زوجتي العزيزة.

نعم أؤمن بجدوى الملائكة في عالم يقترب من حافاته النهائية حيث يمارس الشياطين أدوارهم بحرية كاملة، وأؤمن بجدوى الحقيقة، وبعالم الخير والشر. ولي هنا وجهة نظر قد لا يتفق معي عليها الكثيرون : اذ أرى الانسان وقد جبل على الشر، وما دور الأنبياء والأوصياء والمصلحين الا لتصحيح الأنحراف الفطري عند الانسان واتجاهه صوب الشر . يقول سبحانه وتعالى [أتخلق من يفسد فيها ويسفك الدماء]، و[ان النفس لأمارة بالسوء]، وغيرها من الايات الكريمة، وكل امرئ يمكن له ان يكون شريراً بدون أي جهد، ولكي يكون خيراً يجب عليه أن يبذل جهدا متواصلا كيما يصل الى درجة الخير، وان يبذل جهدا مستمرا كي يحافظ على الخير الذي وصل اليه، لذلك، فالانسان الصالح يكون بمواصفات الملائكة، بل افضل

منهم احيانا، لانه يقاوم كل النزعات الشريرة المتاصلة فيه ليصل الى مصاف الملائكة، لان الملائكة جبلت على الخير اصلا .

□ هلا زلت تؤمن بالحوارات العميقة في زمن صار كل شيء فيه سطحيا؟

. نعم أؤمن بالحواريات العميقة بما يحيط بي في زمن صار كل شيء فيه سطحيا.

لقد كنت انظر الى البدر وهو في تمامه، وأنا أسير على طريق المرور السريع، حيث رافقني هذا البدر الى مسافة طويلة، وكان أنيسي ورفيق سفري الوحيد في حينه، ودخلت في عالم التأمل والسبيات، فلماذا هذا المخلوق الجميل والأساسي لادامة الحياة على الأرض ؟، ولماذا يكون بهذا الجمال الذي يتغنى به العالم والشاعر؟ وكيف حافظ خلال [بلايين] السنين على مداره وعلى طاقته؟. ورفيقته الشمس لم ينضب نورها ودفؤها خلال هذه البلايين من السنين؟ أليست حياة الأرض مرتبطة ارتباطا مباشرا بها؟ وهل تبقى الأرض عامرة بأهلها ان اقتربت الأرض منها، أو ابتعدت عنها قيد أنملة؟ بالتأكيد ستزال كل الحياة عن الأرض في الحالتين. وغير ذلك من التأملات التي تنتهي بالأيمان بأن الله سبحانه وتعالى جعل الكون في حركة وتمدد دائمين، ولكنه حافظ على العلاقة المتوازنة بين الارض والشمس، والأرض والقمر، لادامة الحياة، حياة الانسان، لان الانسان أغلى ما في الوجود:

(وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون). صدق الله العظيم، وفي مرة سألت مستمعي احدى محاضراتي، وكانت في منتدى أبي حنيفة.. من أنا، وتساءلت: بأنه إذا ما مسك أحد يدي المقطوعة مثلا، وسأل لمن هذه الذراع، لأجابوه بأنها ذراع فلان الذي هو أنا. ولو أمسك برجلي المقطوعة، وسأل السائل لمن هذه الساق؟ لكانت الاجابة عينها، وحين وفاتي يشار الى جسدي المدد: أن لمن هذا الجسد؟ فيقال انه لفلان، طيب اليس هذا هو فلان أمامكم؟، فكيف نفسر اذا القول بأنه جسد فلان؟ أين إذا فلان ومن يكون فلان الذي نعرف؟ أهو غير هذا الجسد، وأن هذا الجسد جزء من مكوناته، وليس هو كل شيء فيه، عليه فان من نراه ونتعامل معه ونحس به ونسمعه هو ليس بالضرورة من نراه ونشعر بوجوده المادي أمامنا، فهناك أفق اخر لكياننا وهو الكيان الروحي، فنحن كيانان متلاحمان على مر الحياة، فالروح والجسد، تنفصلان في لحظة الموت، وكل يسري الى طريقه، فالجسد يعود الى التراب الذي خلق منه، والروح تصعد الى بارئها كما هبطت أول مرة من المحل الأرفع، ومن التأملات الاخرى هي أن الانسان والحيوان والنبات والجماد كلهم مصنوعون من

جزيئات ليس الا، والجزيئات مصنوعة من ذرات ليس غيرها، والذرة ما هي الا كيان كهربائي لا غير، فيه الموجب والسالب، وما بينهما من الفضاء الفسيح.. وفي حقيقة الحال فأنه ليس هنالك كيان مادي بمعنى الكلمة للذرة، وهنا ندرك بأن ما نتحسسه من كيان للانسان والحيوان والنبات والجماد وهو ليس بالكيان الحقيقي الذي نراه نحن، وانما هو كيان كهربائي، المفروض أن يكون غير محسوس ماديا، بل شيء هلامي اثيري. ومن هنا يمكننا نظريا أن ننقل هذا الجسم من مكان لاخر بسرعة الضوء، إذا ما عرفنا خارطة تشكيلية الذرات في ذلك الجسم ونقلناها لتعود الى ما كانت عليه حسب الخارطة في مكان الوصول، والحديث يطول، ولكنها كما ذكر انفا حوارات مع ما يحيط بي، تأملت مرة تراب مقبرة كبيرة وتحاورت معه، بما كان ومن كان، عبر المئات من السنين، وكيف دخل في تراكيب سميت بالاجساد وعاد الى ما كان عليه من أول حاله. وتأملت مرة وأنا منتظر للضوء الاخضر في ساحة الملك فيصل الأول في كرادة مريم، واذا بي أسمع همهمة، وكان مصدرها حصان الملك فيصل، وهو يحاول أن يهمس بأذني آلامه وذكرياته، عما شاهده عبر العقود الطويلة وما اسره به أخيه الذي كان قبله، فقلت له أمهلني الان فأنا في عجالة من أمري وأعدك بأنني سأزورك زيارة خاصة، وامل أن تكون في الليل، حيث يمكننا أن نتسامر بهدوء، وبعيداً عن ضوضاء الشارع والناس فنتحاور وتسرد لي ما بداخلك، وعندها قبل بألم ظاهر بان على وجهه وأنفاسه، وودعته عند ظهور الضوء الأخضر وقلبي معه!

□ ثمة من يقول بأن المشتغلين على الفلسفة في زمننا الحاضر ما فتئوا مجرد معلمين ومؤرخين لها، قياسا الى ما انتجه العقل البشري فلسفيا في قرون غابرة، وتحديدا في القرن الرابع الهجري عربيا واسلاميا، ترى كيف تنظر الى هذا القول؟

ـ ابتداء لنحدد دور الفيلسوف في المجتمع، إن كان هذا الدور هامشيا أم اساسيا، وهل ثمة سمو للمجتمع بمعزل عن الفيلسوف؟ ولنحذر من ان كثيرين في هذا القرن (يدعون) التفلسف، لكنهم يقفون بعيدا عن الفلسفة وهمومها واشيائها واجاباتها الحادة. وهنا اسمح لي أن أنقل لك حكاية مصنعاً اميركا دعا في اعلانات تلفزيونية وصحفية الى الحصول على كميات من الضفادع لاستخدامها في تجارب مختبرية، لقاء مبالغ مغرية، وما ان اطلع (احدهم) على تلك الاعلانات حتى هبّ داعيا اصحاب هذا المصنع للحضور الى منطقة قريبة من مسكنه حيث تقوم بركة كبيرة فيها ما يقارب المليون ضفدع (حسب قناعته) بدون مقابل، وما ان وصل فريق العمل المخصص لهذه البحوث الى هذا المكان للحصول على هذه الثروة

الضفدعية المجانية حتى فوجئ الفريق بان عدد الضفادع لم يكن يتجاوز المائة ضفدع ذلك لأن صاحب الدعوة اعتقد بان (نقيق) الضفادع المائة ينبي عن رقم يصل حدود المليون!! بمعنى ان الكثيرين في ادعاءاتهم الفلسفية (يتطاولون) احيانا على واقعهم وهم ليسوا سوى مرددين لأفكار فلسفية أبدعها اناس سابقون. المطلوب اذاً العمل الفعال المنتج وليس احداث ضجيج لا يذكر الا بتلك الملايين من الضفادع الموهومة! دعني اقول لك بأن سبب تدهور الانتاج الفلسفي في العالم الثالث يتصل بمقولة (سديد الكلام ليس مطاعا، ومطاع الكلام ليس سديدا)!! وهذا ينطبق على وضع العلماء والفلاسفة والمفكرين وعموم الأكاديميين.

- متى يغضب عبد الهادي الخليلي، ومتى يحزن، ومتى ينسى نفسه ليحلّق بعيدا في سماوات نائية، وهل ثمة انسان معين يتمنى الخليلي عبد الهادي اصطحابه في عالمه ذاك؟

ـ يغضب الخليلي بعد أن يحزن، وحزنه ينجم عن عدم تحقيق ما يرجوه ممن حوله. وهو في الغالب لمصلحة عامة. يحزن من عدم ايمان الكثيرين ممن حوله بأهمية الخدمة العامة أو حتى خدمة أنفسهم وتهيئة أنفسهم لمستقبل لايرحم، وليس فيه مكان في الصدارة الا لمن أجهد نفسه في الطريق القويم من علم وخلق وإدراك ثاقب لما يجب وما يجب. يحزن حينما لا يمكنه التصريح بما فيه لأمر يمكن بتنفيذه أن يتحقق بعض التقدم والتطور أو تحسين حالة على مستوى الأهل والمقربين والمرضى والطلبة، يغضب حينما لا يدرك من حوله بأن ما أشار به من رأي واقتراح لم يعمل به، بل وجد طريقه الى التغاضي ثم الاهمال ثم النسيان. أن ما يجعله سعيدا في الحياة بسيط يمكن تحقيقه بسهوله، فلقاء عزيز أو نكتة عابرة أو مكسب بسيط كلها يمكن أن تجعله سعيدا حيث أن طموحاته ليست بالمعقدة ولا صعبة المنال. ولكن طموحاته في العلم والعمل واسعة الى درجة لا يمكن للمحيطين به والمتعلقين به أن يحققوها بالرغم من انها ليست صعبة ولا مستحيلة التحقيق مطلقا، وهذا ما يحزنه وأحيانا يغضبه حيث إنه يوفر كل ما يلزم لمن حوله في العمل للشروع في تحقيق المطلوب والذي هو في الغالب لمصلحتهم، ولكن هيهات فـ(الأسبقيات) في حياتهم قد تبدلت وأصبحت هوامش الحياة هي الأهم، والأساسيات الحقيقية قد همشت وأجلت ولم تدر في خلدهم مهما تكرر الطلب. اقول قولي هذا ليس من قبيل المبالغة في القول، ولكنه ما تجرت الخليلي ويؤلمه كل يوم حينما تعامل مع طلبة الدراسات العليا وطلبة كلية الطب. فبالرغم مما يقدم لهم في كل يوم من اراء وتوجيه وارشاد وبتكرار ممل لهم، وليس له، فهم لا يدركون في الغالب ما هو حجم الخسارة التي يخسرونها

في وقتهم وجهدهم بالرغم من أن عملهم هذا واصرارهم على اهمال الاساسيات ليس بالمتعمد في الغالب، وأحيانا كثيرة يتفقون معه على قصورهم وتقصيرهم، ولكن بعضهم يصرح وبشجاعة انه يعوزه الدافع الذي يجاهد فيه النوازع المثبطة في داخل النفس.

يحلق بعيدا الى أعلى في السماء حينما يتألم وتواجهه مشكلة لا يمكنه التعامل معها. يحلق خارج الكرة الارضية في البعيد حيث يتفاعل مع الكون ككل، مع المجرات وعظمة الكون وما بينها من فضاء فسيح، ومن ثم يعود الى المجموعة الشمسية وعظمتها ويرى ضآلة المجموعة الشمسية أمام الكون، وضعف الأرض أمام المجموعة الشمسية وضالته هو وضالة مشكلته أمام هذه العظمة الكونية المذهلة، ويتقبل الواقع وتقل أهمية مشكلته وعندها يهدأ باله!

□ هل عانيت من كونك شرقيا، ثم ما الذي أضافه الشرق الى شخصية الخليلي: الطبيب.. الفيلسوف.. المفكر؟

ـــ كلا لم اعان مطلقا من كوني شرقيا، لسبب بسيط هو انني اشعر بالانتماء الى عمق حضاري، يشكل الشرق الذي انتمى اليه واشعر بالاعتزاز الكامل به، اقول يمثل الشرق وعاءً للحضارات التي علمت الانسانية معنى ان يبحث المرء عن الخلود الحقيقي وعندما كنت ادرس في الغرب كنت (اباهي) بشرقيتي حيث الالتزام والحكمة واحترام القيم الروحية التي بشر بها الشرق. وهذا الانتماء العميق جعلني امارس حقي كإنسان في سلوك اسلوب الحوار مع اصحاب الحضارات الاخرى، ذلك لأنني لا اشعر قطعا بجدوى الصراع بين الحضارات واؤكد دائما على ان نستبدل ذلك بحوار الحضارات.

اذكر مرة وانا قادم من بازل بسويسرا صوب دسلدورف الالمانية ان شاركني مكاني في القطار رجل الماني، واستطعنا معا ان نتحاور على مدى زمن الرحلة البالغ ثلاث ساعات حيث لقائي بهذا الانسان، وكان ثمة حوار مطول استغرقنا نحن الاثنين، وعند نزوله في محطة بون استوقفته لأسأله عن مهنته فاكتشفت انه (زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي في بون)، وهذا الحوار الذي انشدّ هذا الرجل الالماني اليه، جاء ليؤكد امكانية حوار الشرقي مع الاخرين من الغرب، مهما كانت صفة هؤلاء المحاورين.

وحوادث كثيرة نستطيع خلالها اقناع الاخرين من الغربيين بوجهة نظرنا بأسلوب الحوار العميق، وهذه القدرة تؤكد تكافؤ الغرب والشرق. لذلك دعني اقول لك يا صديقي بانني لم اعان من كوني شرقياً، البتة.

□ ما الذي أضـافته الغربة الى عبد الهادي الخليلي، وهل الاحسـاس بالغربة في نظرك فعل مكاني مجرد، ومتى يصبح الانسان مغتربا بالفعل؟

ــ يكون الانسان غريبا بالفعل حينما لا يرى نفسه متفاعلا وممتزجا مع من حوله ومع ما حوله، في سبيل تحقيق ما يحلم به من خدمة للمجتمع ولكل الناس. ولا يهم أن يكون ذلك في أية بقعة جغرافية من هذه المعمورة، فمقولة الامام علي (عليه السـلام): (المال في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة)، مثل على ذلك. فيكون الانسـان مغتربا حينما لا يتفاعل مع ما حوله ولا يسـهم في الحياة وكأنه على هامشـها، وليس له هدف واضـح، ولا حلم يمكن السـير على طريق تحقيقه، حد الشـعور بأن وجوده وعدمه لا يختلفان ولا يؤثر ذلك على ما حوله وحتى ان من يحيط به لا يتحسـس بهذا الوجود. ويمكن أن يشـعر الانسـان بالغربة ليس فقط في وطنه، ولكن في مدينته، وفي محلته وحتى في بيته. وعندها يضـيق عليه حتى الفضـاء الفسـيح حينما لا يتفاعل مع مجتمعه، أو ان المجتمع لا يتفاعل معه، ولا هو يدرك ما يريده أو يبغيه من ذلك المجتمع، فيشعر عندها بالغربة والضياع!

حينما كنت مغتربا وقبيل سفري، كنت قد خططت بأن أمكث في الغرب فترة خمس سنوات، وألا أتزوج من أجنبية، لعلمي بأن البقاء أكثر من خمس سنوات سوف يبعد احتمال العودة الى الوطن بسبب تحقق الامتزاج مع المجتمع الغربي، وكذا الزواج منه له نفس النتيجة!

□ عشرة كتب أثرت في ذاكرة الخليلي الثقافية، ترى هل بالامكان أن نجد تسبيبا لذلك الاثراء؟

ـــ كان المجتمع العائلي الذي عشت فيه، مجتمعا ثقافيا يضم العديد من التيارات الثقافية والأدبية، فكنت تواقا لسـماع ما يدور في مجلس بيتنا الثقافي من أحاديث وقصـص وشـعر وغيرها، وهذه، وبدون شـعور واضـح، قد طبعت في العقل الباطن، وبنيتّ عليها افاقا أخرى على مدى السـنين، واذا بأحاديث وأبيات شـعر حكمية لم أقصـد أن أحفظها، تراها طبعت في الذاكرة بسـبب كثرة ترددها في المجلس، وجل تلك الذكريات متجهة الى البناء القويم، ولكن قسـما منها كان مؤلما لأن بعض من كانوا يرددون الحكم والنصـائح، كنا ونحن أطفالا، نعلم علم اليقين بأن أعمالهم الحقيقية كانت عكس ما ينصـحون به، وقد أحدث هذا عند بعضـنا ردة فعل عنيفة وصـدودًا عما يؤمن به مجتمعه العائلي، وخرج عليه واتجه الى غيره بل الى عكسه أحيانا. ومن الشعر الذي أتذكره وأذكره في هذا الموجز:

كن عن أمورك معرضا وكل الامور القضا

فلربما وسع المضيق وربما ضاق الفضا

الله عودك الجميل فلا تكن متعرضا

الله يفعل ما يشاء فقس على ما قد مضى

أو ...

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

لا تقل أصلي وفصلي أبداً انما أصل الفتى ما قد حصل

أنت لا يرضيك كيس فارغ كيف عقل فارغ يا من عقل؟

أو ...

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

أن الفتى من يقول ها أنذا ليس الفتى من يقول كان أبي

وبسبب هذين البيتين بدأت أكتب اسمي، وانا في الصف الاول المتوسط، هكذا، عبد الهادي الخليلي، ولا أذكر اسم والدي بالتعريف بي، مع تشرفي واعتزازي بوالدي، وبموقعه في المجتمع انذاك.

أما الكتب التي أثرت بي فأولها مجموعة مجلة (المختار) بما فيها من أفكار وثقافة، ومن ثم مجموعة (أرسين لوبين) البوليسية، والتي فتحت افاق الخيال والتحدي والتطلع الى الخير والشر، وهنا أذكر اني قرأت عن (اينشتاين) قوله بما فحواه: أن الشخص الوحيد السعيد في نظره هو كاتب القصص البوليسية لانه يجعل القارئ يترقب ويظن ويعتقد ويستنتج الاحداث والاحتمالات، بينما هو يسخر من الجميع لأنه يعرف نهاية الحدث. ومن ثم كانت لي قراءات لكتب مصطفى لطفي المنفلوطي والعقاد ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم. وفي الحقيقة كان هذا سياق كل شباب ذلك الوقت حسب تقديري، من شمال العراق الى جنوبه، وثمة كتاب اخرون مازلت اتذكرهم امثال: محمد عزة دروزة، ونهرو، وغاندي، ومحمد عبده، وجمال الدين الافغاني، وتشرشل، ومحمد عبد السلام (الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء)، وجعفر الخليلي، ومحمد الخليلي، وصفي الدين الحلي، ومحمد جمال الهاشمي، ومحمد رضا المظفر، وعبد الله سلوم السامرائي، وسارتر، وفرويد، ومجلات (الهلال) و(الاعتدال) و(البيان) و(الهاتف) و(المعلم الجديد) و(العيادة الشعبية) وغيرها من الكم المتنوع.

□ لو كنت محاميا هل تقف الى جانب صديقك الظالم أم الى جانب عدوك المظلوم؟.

ـــ ليس من المنطقي تماما التشدق بالقيم وافتراض النفس وكأنها خيرة طوال الوقت وتعمل لأجل المبادئ السامية التي لا تحيد عنها، ان وقعت أنا في هذا المازق، فالعقلانية تعمل عملها حيث تعمل بقدر المستطاع لن أسمح للحق والعدل أن يصابا بأيما خدش، وفي ذات الوقت سأحاول اصلاح ذات البين، بكل ما أستطيع، ولكن المبدأ: هو الحق. وفي هذا السياق، فأنني أؤمن بان الصراط المستقيم الذي نمثله في أذهاننا وكأنه حبل رفيع، يتوجب علينا السير عليه واجتيازه، ونحن في الاعلى، وفي اسفلنا تحت الجب هاوية مليئة بما يرعب، فاذا ما فقدنا القدرة على حفظ الموازنة على هذا الحبل الرفيع، فمصيرنا السقوط في الهاوية المرعبة والتي لا مناص من هلاكنا فيها، ولكن الصراط المستقيم الذي اؤمن به للناس الاعتياديين مثلنا، هو ليس خطا واحدا، ولكن خطين ينحصر بينهما الصراط المستقيم، ويعتمد ذلك على تربية الانسان وضميره وأخلاقه وقيمه ومدى المسافة بين الخطين، فكلما كان الانسان ذا ضمير حي وخلق قويم تقارب الخطان، وفي الحالة المعاكسة، حيث يغلب الشر، يتباعد الخطان عن بعضهما، ويكون الصراط عريضا جدا، واحيانا جدا جدا !

□ هل تؤمن بجدوى الوحدة والحرية والاشتراكية. واين تجد الانسان العربي في عالم ملوث بخطايا العولمة، ثم اين تكمن اشكالية المثقف العربي المثقل باحلامه القومية المؤجلة؟

ـــ خلاصة القول هو اننا مطالبون بمصارعة الاحباط بوضع برنامج واضح لتحسين ما نحن فيه من خلال الرؤية المنطقية الاستراتيجية الهادفة الواعية للقدرات المتاحة والقدرات التي يمكن استثمارها بالاخلاص والتفاني، وان لا تطغي على عملنا العلمي الجاد الاحلام الوردية التي يصعب تحقيقها في الحقبة الحاضرة، حيث يجب ان نحسن استثمار الموجود، ونضع نصب عيوننا الطموح.

فعصرنا الحاضر هو العصر المبني على التحديات والمنافسة والصراع للوصول الى الافضل، انه العصر الذي لا يرحم، حتى الذين ساهموا في بنائه وتطويره، ان لم يديموا الزخم والعطاء.

نحن بحاجة الى قفزة نوعية آنية مبنية على قناعات وطنية وعلمية صحيحة، والتي يجب ان تكون مدروسة من قبل المعنيين بعمق، ومخطط لها بدقة، ان الذي يريد أن يواكب ويتميز ويتحدى، يجب عليه ان يلم بافاق المعرفة وبصورة تراكمية في مجال العلوم الصرفة والتطبيقية او في مجال العلوم الانسانية والروحانية، اذ لا يولد الانسان عالما الا ما ندر وهنا يجب صقل موهبته.

كما يجب ان نخطط وباسلوب واضح الطريق الذي يحقق التطور، ثم التميز في المسارين العمودي والافقي في ذات الوقت ويكون اســـلوب التطور العمودي باختيار بعض التخصـــصـــات الدقيقة في كل حقل اختصاص وذلك بتوجيه الطاقات بافضلها لخلق ارضية متينة في هذه التخصصات.

1. تحديد هذه التخصصات الدقيقة:

أ. بما متوفر انيا من كادر متخصص في الوطن.

ب. بما هو مشهود باهميته على مستوى العالم المتقدم.

2. يحدد سقف زمني لتحقيق الهدف المرسوم.

3. يحاط المشروع ببعض السرية حتى يبدأ بالبزوغ

الكادر العلمي:

أ. الكوادر العلمية الوطنية.

ب. الكوادر العلمية من العراقيين المغتربين والمقيمين في خارج الوطن.

ج. الكوادر العلمية من الدول الشقيقة والصديقة، من العاملين والمتقاعدين.

وهنا اؤكد على ان يصـار الى اسـتحداث تشـكيل رسمي يخطط لاسـتثمار المعرفة والدعم الذي يمكن ان يقدمه المغتربون العراقيون للوطن، وهذا حســـب تقديري كنز معرفي ومعين يســـاهم في تجاوز الزمن، وقد نجحت هذه التجربة في جامعات بعض الدول النامية.

وفي خضـــم التقدم العمودي يجب ان نســـير في دعم وتطوير الجانب الافقي لنحقق التكامل في تحقيق الهدف. ففي الجانب الطبي مثلا، والذي يشترك مع العلوم الاخرى في الكثير من الخصوصيات، يتم ذلك على الشكل التالي:

توجيه البحوث الطبية:

TARGETED MEDICAL RESEARCH

يجب ان تسـتثمر كل البحوث الطبية في القطر، والتي تخزن حاليا على الرفوف، لخدمة الارتفاع بالمسـتوى الصحي والمعرفي الطبي في بلادنا، وهذا يتم حسب استراتيجية مبرمجة.

الشبكة الوطنية للطب عن بعد:

NATIONAL TELEMEDICINE

تقدم الخدمات الطبية الاستشارية، التشخيصية والعلاجية، للطبيب الذي يمارس الطب في مناطق لا تتوفر فيها كوادر متخصصة، مثل: الجراحة العصبية وأمراض القلب والعيون والجراحات التخصصية الاخرى، وغيرها عن طريق منظومة وطنية للحاسبات الشخصية.

الشبكة الوطنية للمعلومات:

NATIONAL MEDICAL INFORMATICS NETWORK

باستخدام منظومة الحاسبات، مركزية وطرفية، وتوفير قواعد المعلومات الطبية والعلمية على الاقراص المكنتزة مثل (المدلاين) وغيرها تحقق التواصل العلمي والمهني بأحداث التطورات الطبية في العالم في كل انحاء القطر، وربطها بشبكة الانترنيت في المستقبل القريب.

التعليم الطبي المستمر:

CONTINUED MEDICAL EDUCATION

يتطلب التطور المعرفي وجوب التقيد بالتعليم الطبي المستمر من قبل كل العاملين في الحقل الطبي والصحي، وعلى كافة مستوياتهم العلمية والادارية، وارتباطه بتسلق السلم الأكاديمي والاداري، وان يكون التقييم سنويا لكل الكادر.

- اين تكمن المأساوية في عالم اليوم، ولماذا الانسان المستهدف دائما، وهل ثمة علاقة طردية بين تعاظم المد التقني وتعاظم الشعور بالخيبة عند الانسان المدجج بوسائل ذلك المد؟

أؤمن بانه لا يمكن للانسان ان يجمع بين القيم النبيلة وهدوء الضمير التي كانت تصاحب الكثير من اهل العصور التي تسبقنا، وبين ما وفره التقدم التقني من التسهيلات للحياة اليومية. لا يمكن الجمع بين الشجرة الجميلة الوارفة الظل والحقل الاخضر الهادئ والجمال الحقيقي والما ء الجاري في النهر مع مظاهر الحياة العصرية من مكيف الهواء وجهاز المفراس او الطائرة او المحطات الفضائية، فلا يمكن لنا مطلقا العيش بسلام الذين لا يحتاجون الى طاقة كهربائية أكثر من الفانوس، ولا لتنقلهم اكثر من الحصان، واهدافهم في الحياة سد رمقهم لذلك اليوم، وعندها ينامون بهدوء وراحة بال، لان تحقيق ذلك مستطاع. وهنا اسمح أن أذكر ما حدث مع مكتشف القطب الشمال النرويجي أولسن، على ما أنذكر. بعد رحلة شاقة الى عمق المنطقة القطبية توقف هو والرجل الأسكيمو الذي كان يجر زحافته، للإستراحة لبعض الوقت. انتبه أولسن الى ان رجل الأسكيومو قد أطرق لدقائق طويلة. بادره بالسؤال: أنت تفكر، مالذي أشغل بالك طول هذه الدقائق؟ أجاب الرجل ببساطة: ياسيدي أنا لا أفكر في هذا اليوم. لماذا؟ تسائل

أولسن باستغراب لهذا الجواب الغريب. أجاب الأسكيمو: يا سيدي في هذا اليوم لدي ما يكفيني من اللحم في بيتي، فأنا لا أفكر. فهنيئا لهذا الإنسان الذي تحقق طموحه اليومي. ويجب على الانسان ان لا يشكو من التحلل العائلي اذا تغرب ابنه كي يحصل على مراتب علمية اعلى او ان تذهب زوجته الى العمل كي تفيد المجتمع وتتفاعل معه او ان يذهب هو في ايفاد الى خارج الوطن لفترة زمنية يفقد وتفقد عائلته ما حققه ابوه واجداده من السعادة في تواصلهم العائلي المستديم في كل ساعات النهار والليل، ونرى ان الانسان الغربي الذي يتمتع بكل ما في العصر الحاضر من نتاج فكري وحضاري وتفاعله مع ذلك كمنتج ومستهلك نرى ان حياته الاجتماعية والعائلية وقيمه الانسانية الاصيلة قد ابتعدت جميعها عما يجلب السعادة الحقيقة بالمفهوم الانساني الاصيل والذي يتحسس به فقط عند ابتعاده عن العمل عند تقاعده وعيشه بوحدة كئيبة، وعندما يقارن حاله وهو عجوز قد تخلى عنه المجتمع الكبير واولاده الا مما يديم حياته الجسدية، يقارن ذلك مع قرينه في المجتمع الشرقي الذي لا زالت فيه بقايا من الرمق الآخر من العواطف الانسانية التي ستنتهي قريبا الى ما انتهى اليه الغرب، فان ذلك العجوز يشعر بالخيبة من مجتمعه، وهذه تتمثل بكل وضوح عند العجوز الشرقي الذي يقضي فترة شيخوخته في المجتمع الغربي لان المقارنة ناتجة عن خبرته في المجتمعين الغربي والشرقي، والذي يحلم ويتحقق حلمه بالوصول الى الغرب مع زوجته كي يكمل دراسته هناك واذا باولاده يتفرقون في جامعات شتى بعيدين عنه ويجب عليهم ان ارادوا التفوق والاندماج مع المجتمع ان يتخلقوا بأخلاق ذلك المجتمع وفي بعض الاحيان يجبرون على التحلل الخلقي والاجتماعي بالمفهوم الشرقي، وذلك كله امام انظار الابوين الذين يعصر الألم قلبيهما على ذلك المسار والسعادة الظاهرية بتحقيق اولادهم الطموح العلمي والارتقاء.

فيجب علينا إذا أردنا التقدم، وهذا واجب حضـــاري لابد منه، ان نتخلى عن الكثير وان لا نتأفف وننزعج ونبدي تأسفا على ما مضى ونحن نخاتل وننافق لاننا جزء من عملية الابتعاد عن المسيرة الانسانية الاصيلة بسيرنا، الذي كما قلت لابد منه، خلف المظاهر الحضارية العصرية.

وإذا أردنا ان نتخلف للحفاظ على قيمنا ومبادئنا الاصيلة فسوف لن نتمكن من مواكبة العصر ونبقى في الخلف. فهما خياران أحدهما امر من الحنظل.

□ متى يفقد المريض احساسه بالأمل، وهل ثمة فروقات فردية كبيرة بين المريض في العالم المتقدم والمريض في العالم المتخلف، وهل ان الاحساس بعدم جدوى الحياة ـــ احياناـــ يفعل فعله في دواخل الانسان باتجاه يجعل (الموت) مستمرءاً عند البعض؟

ـــ لنتفق إبتداءً بان المريض يفقد احساسه بالامل حينما يدرك بيقين كامل ان مرضه لا يرجى شفاؤه، ويتيقن في ذلك حينما يقرأ ذلك في عيني طبيبه المعالج، وعندها يؤمن بانه ليس هناك من واق. حينها تلتقي الساق بالساق. اما على صعيد الفروقات الفردية بين المريض في العالم المتقدم ومثيله في العالم المتخلف ـ كما تقول ـ فان ثمة فروقات جوهرية تتمحور في تغلب العقل في المجتمع المتقدم على العاطفة السائدة في المجتمع المتخلف. ودعني اسوق لك امثلة تؤكد هذه الفروقات : حدثني استاذي القدير المغفور له الدكتور عبد الكريم الخطيب يوم كان طبيبا مقيما في المستشفى (الملكي) ببغداد وهو يقوم باجراء الفحص السريري على مريض انكليزي برتبة عقيد طبيب في القوات المسلحة البريطانية، واذا بالمريض الطبيب يسهل على طبيبه الفاحص سرد القصة المرضية بشكوى مفادها بانه اكتشف بشكل مفاجئ اصابته بورم سرطاني صبغي تحت ظفر الاصبع الكبير في قدمه، مما استدعي بتر ذلك الاصبع وبعد ذلك انتقل السرطان الى الاوعية اللمفاوية في الساق مما اوجب رفع جميع هذه الأوعية مع الغدد اللمفاوية في اعلى الساق واكتشف بان الورم قد انتقل الى الكبد، وقد بدا يشكو بعد ذلك من صداع وتقيؤ مما تؤكد لهذا المريض ان هذه الاعراض تمثل انتشار الورم السرطاني في الدماغ، لحظتها انبهر محدثي الدكتور عبد الكريم من (عدم اكتراث) مريضه الذي كان يتحدث عن حالته وكأنها حالة انسان سواه، وتناول من على طاولة الدكتور عبدالكريم صحيفة اليوم التي كانت على الطاولة ليقرأها باهتمام مثير للدهشة .

على الجانب الاخر سأروي لك قصة اخرى تؤكد هذا الفرق الذي سأسميه جوهريا.. أحد المرضى سافر للعلاج الى خارج البلاد وهو يشكو من حمى مجهولة السبب، وبعد الفحص اتضح لمعالجيه في المستشفى التي اوفد للعلاج فيها انه مصاب بمرض سرطان الدم، وعند عودته الى بلده بصحة مناسبة استقبلته عائلته واصدقاؤه وما ان همّ نجله الطبيب بقراءة التقرير ودمعت عيناه، على العبارة التي تؤكد تشخيص المرض حتى بدا باكيا مولولا امام الجميع، وتحديدا امام والده المريض المسكين!! اترك هذه الحكاية يدون اضافات لتؤشر ما سميته بالفرق الجوهري.

اما الشـق الثالث من سـؤالك عن عدم جدوى الحياة، الذي جعل الموت مسـتمراً عند البعض فأقول لك انني شـاهدت الكثير من المرضـى وهم (يسـترحمون) اطباءهم لانهاء حياتهم بعد احسـاسـهم بعدم جدوى هذه الحياة، خاصة في حالات يكون فيها الم المريض شديدا لايطاق.

وهذه يجرني قليلا الى الحديث عن ما يسـميه الاطباء والمشـرعون بـــ(موت الرحمة)، ولي في هذا حديث طويل عبرتّ عن بعض جوانبه في محاضـرات القيتها في مناسـبات مختلفة فأصـدقك القول انني ارى الموت شـابا لطيف المعشر! لا يخيفني لكنني لست مستعدا للقائه في الوقت الحاضر لأن لي رغبة في اصلاح ما يجب اصلاحه كيما أقف امام ربي بخطايا اقل!

- متى ينكفئ الخليلي على نفسه، وهل يجد في صمته القدرة على مواجهة الاشياء المفضية الى التشبث بذلك الانكفاء. ثم متى يصبح صمت الحكيم عبد الهادي الخليلي مشروعا؟

ـــ عندما اتعامل مع من يعييه الفهم اكون لحظتها مستعدا للتسربل بالصمت من قمة رأسي حتى أخمص قدمي، ليس في هذا الموقف فقط يكون هذا الشـــعور ملازمي بل عندما اكون عاجزا عن اقناع الطرف الأخر بصحة وجهة نظري.

وتحضـــرني مقولة للعلامة الدكتور حســـين علي محفوظ الذي أعده ابا روحيا لي يقول فيها ان للصـــمت فصاحة!؟

- متى يتحرر المرء من (اناه)، ولماذا تلتصق الأنا بالمبدع التصاقا خطيرا، وهل ثمة علاقة جدلية بين المبدع والأنا، وما سر هذه العلاقة واسبابها، وهل ثمة تفسير علمي مقنع لها؟

ـيتحرر المرء، ابتداء، من (اناه) عندما يكون (ناضجا)، ذلك من خلال شعوره بانتمائه الى المجتمع الاكبر وليس الى الذات، ولعل المتنبي قد أدرك عمق هذه الدلالات عندما قال: أفاضـــل الناس أغراض لدى الزمن. فـ (اناي) ليست غرورا، ولكنها احساس بالتفوق احيانا، والشعور المفعم بالثقة بقدرتي على انجاز ما يخدم الناس، ولا اعير لمن يناصـــب هذه (الانا) المتوازنة، أذناً صـــاغية، ذلك لأنها عاجزة عن اعاقة، قدميّ السائرتين على (سكتهما) الصحية بما يجعلني قادرا على ان اكون عنصرا مفيدا لهذا المجتمع، سواء على صعيد مهنتي ام على صعيد حضوري عند الناس.

والكشف عن المواهب ـــ يا صديقي ـــ ليست رغبة في تعميق (الانا) لكنها تدخل في إطار: واما بنعمة ربك فحدث. وعلى الجانب الاخر، والذي أعده من وجهة نظري، جانبا اعتياديا، هو اعرف بقدراتي

لخدمة الناس ممن هم بحاجة لان يعرفوا بدقة متناهية هذا الانســـان الذي جند كل قواه، وبصـــمت في اغلب الاحيان ـ لخدمة الانسانية التي تبقى على الدوام غاية عطاء المرء وفخره.

□ عندما تكون مع الكتاب، ما الذي يستوقفك فيه؟

ـــ يقال ان الكتاب هو (نافورة) الحكمة. ذلك لأنه عصارة افكار وجهود مؤلفه المبنية على تراكم معرفة وأدراك للموضوع الذي يدور حوله الكتاب، سواء كنا مع مضمونه بالضد من هذا المضمون. فمسيرتي مع الكتاب بدأت منذ يفاعتي، حيث كان بيتنا يعج بالكتب، وهي ارث متقادم من الاسـرة في ماضـيها الى حاضـرها وفي كل بيت من بيوت اسـرة ال الخليلي تسـتقيم الكتب في خزائنها، ولعل في مقدمة هذه الخزائن: مكتبة الشـيخ محمد الخليلي صـاحب كتاب (معجم ادباء الاطباء)، والاسـتاذ جعفر الخليلي صاحب (موسوعة العتبات المقدسة) و (موسوعة هكذا عرفتهم)، فضلا عن مكتبة والدي التي ـــ كما قلت ـــ كان لها الفضل في تزويدي بأهم المعارف. اقول ان مسيرتي مع الكتاب بدأت بالنضوج المبكر، فكانت امامي دواوين الحكمة والشعر، وقد كان والدي ـ رحمه الله ـ يمنحني مبلغ (عانه) أي اربعة فلوس عن كل بيت شعري احفظه.

وبهذه الوسيلة حفظت العشرات من القصائد لابن الجوزي والمتنبي وصفي الدين الحلي والشيخ عباس الملا علي (الشاب العاشق) صاحب القصيدة المعروفة (عديني وامطلي وعدي عديني)

ومازالت اذكر بيت ابن الجوزي الذي جعلته حتى اليوم امامي في كل مواقف حياتي المضـــطربة والهادئة معا:

لا تقل قد ذهبت اربابه كل من سار على الدرب وصل

لا تقل أصلي وفصلي ابدا انما أصل الفتى ما قد حصل

ويوم كنت اقضـــي مدة خدمتي كضـــباط احتياط في خانقين زاملت مدير مكتبة المدينة حتى اندفعت للسـكن في احدى غرفها قريبا الى كتبها في كل اوقات فراغي، وقد اطلعت على فهرس الكتب المتوفرة في هذه المكتبة واخذت لمائة عنوان اشتراها لي بتخفيض مناسب من مكتبات بغداد مدير تلك المكتبة الذي لم اعد ـ يا للأسف ـ اتذكر اسمه الكريم. ولي ان اتذكر بالمحبة ايضا صديقنا السيد نظام نصر الله مدير دار الكتب المسـتوردة في جامعة بغداد الذي كان يوفر لنا الكتب لنشـتريها من السـوق وفق العناوين التي نحددها نحن. واذكر ايضا انني والدكتور رجاء كمونه كنا من أكثر التدريسيين شراءً للكتب.

وباختصار شديد، فان الكتاب وعاء معرفي شفاف لا يخفي كنزا الا ويعرضه لرائيه.

كيف تنظر الى ذاتك، والى مسؤوليتك بإزائها، وبإزاء تأريخك الشخصي؟

ــ تسألني يا سيدي ان اذكر لك ما اراه في مرآة نفسي؟ صحيح انني مؤمن بان الانسان طين حقير، وان علماء الدين في كل الاديان والمذاهب والملل في الماضي كان أحدهم حينما يوقع على وثيقة او رأي ديني يسبق اسمه بكلمة (الأحقر)، والمقصود بالأحقر عندهم حسب ما اراه، هو حقارة الجسد الذي ينبذه اقرب الناس اليه بل كل احبائه الحقيقيين عندما يحين وقت الدفن تحت التراب، لأنه ان تأخر عن النزول هناك تعفن وصار شيئا حقيرا يجب التخلص منه بأسرع ما يمكن! وفي هذا تربية حقيقية للأخرين، بان لا يتعالوا على ابناء جنسهم والذين لهم نفس المواصفات الجسدية، ولكن عزة الروح غير ذلك، فهم يعرفون موقعهم ومسؤولياتهم الالهية التي يتطلبها موقعهم، ولهم في ذلك الكثير من معرفة النفس والروح، وقد قيل بان أصعب شيء في الحياة هو معرفة النفس، كما ان أسهل شيء في الحياة هو نصيحة الآخرين.

اقول، مع ايماني العميق بما ذكر آنفا، اتمنى بان لي درجة كبيرة من احترام ما انا فيه من مسؤولية الابقاء على ذكر آل الخيلي الذين ضحوا بالكثير في سبيل وطنهم وقدموا الخدمات الجليلة التي يذكرها التاريخ على مدى القرون من طب وادب وعلم. وهم العائلة الاولى في تاريخ البشرية، وحسب قول العلامة حسين علي محفوظ، من ناحية عدد الاطباء الذين قدمتهم الى المجتمع الانساني.

يضاف الى ذلك التعرف على الذات، لأنني اعرف بان لي قدرات وطاقات لا تنضب. فلو توفرت لي مثلا عشر سكرتيرات كفؤات لما تركت لهن وقتا للراحة، مما أثقل عليهن بواجبات الطباعة والادارة، ولو سنحت لي فرصة الحركة بحرية ادارية ومالية واسعة، لعملت الكثير في خدمة المجتمع، وربما اعتقد البعض بأن هذا المشروع فيه ما يرونه كسبا شخصيا لواضع افكاره، في الوقت الذي اراه ـــ من وجهة نظري المتواضعة ـــ اساسا لقفزة نوعية في الاختصاص الذي كان يمكن تحقيق القفزات النوعية فيه قبل سنوات عشر. ولي بما حققته في (مركز جراحة محجر العين) مثل بسيط على ذلك. فقد اسسته من الصفر، وكان حلما يراودني لعشرات السنين، وبرغم كل المعوقات والمعوقين ولمدة سنتين تقريبا، مضت على تقديم الطلب وامتناع بعضهم عن الموافقة الا بعد ثمانية شهور، ظهر المركز الى الوجود وبجهودي الشخصية وبدعم مباشر من السيد وزير الصحة ومعاونيه وادارة مستشفى الشهيد عدنان. وبعد اربعة شهور من

افتتاحه قيمته منظمة الصحة العالمية بانه مركز متميز في كل منطقة شرقي المتوسط. وخدماتي في مجلس السرطان في العراق والذي يرأسه وزير الصحة، برغم المعوقات والمعرقلات المتعددة قد ظهرت للوجود، ففيه شيء مجدد في خدمة مباشرة للمجتمع الطبي والوطن بصورة اشمل، ولقد قال البروفسور تاترسول من استراليا وهو الخبير العالمي في السرطان حينما جاء بزيارة رسمية بالحرف الواحد (اهنئكم على ما أنتم عليه من افكار وخطط، فلماذا ارسلتم تطلبونني؟).. ولكن المؤسف ان المعنيين من المتخصصين ليس لديهم الوقت الكافي والايمان الثابت بالأمل في تحسين الحال كي نطبق ما سطرنا من افكار واستراتيجيات في هذا المجال. ولقد قدمت مشروعا بإنشاء معهد للعلوم العصبية في مستشفى الجراحات عام 1993. وكان مشروعا متكاملا فيه قفزة نوعية للاختصاص من الناحية العلمية والخدمية وقد حظي بموافقة السيد وزير الصحة، ولكن يا للأسف لم يحظ وحتى بعد شهور من المداولات مع المعنيين بالموافقات النهائية بعد موافقتهم المبدأية، وكان الشعور السائد عندهم بان المقصود من هذا الانجاز الكسب الشخصي لا غير! ولقد صرحت بأنني لا امانع من اترك المكان والمعهد على ان يكون المعهد حقيقة منيرة للاختصاص ولو على يد آخرين. ولم يتم المشروع، للأسف الشديد، وبذلك تأخر اختصاص العلوم العصبية عشر سنين!

وكذا في مجال البحث العلمي فلقد قدمت عام 1993 مشروعا ليكون، البحث الطبي في العراق، هادفا خدمة لصحة المواطن وتحسين كفاءة الطب، وليس على اساس البحوث التي تجمع الغبار على الرفوف، وهو مشروع لا يتطلب اكثر من تنظيم وادارة، ولقد دعمه السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ولكن للأسف حاربه البعض بدون مبرر، وبقي في الادراج بالرغم من كل الجهود المتكررة على مدى السنين العشر لإظهاره الى الوجود، آمل ان يظهر الان الى حيز الدراسة الجدية واحتمال تطبيقه.

وهناك امثلة اخرى متعددة على ماكنت قد عنيته في بداية جوابي، ولقد كنت اصرخ في داخلي: يا اخوتي: استثمروني قبل ان تفقدوني، فو الله يمكن ان اقدم لكم خدمة شخصية مباشرة وبدون مقابل ان تركتموني اعمل للصالح العام كما ارى، وانا مستعد للتضحية في الوقت والمال وقد طبقت ذلك دوما!!

□ كيف ترى نفسك في مرآة نفسك بعد كل هذه المعاناة؟

ـــــ لو كانت لي رغبة في الراحة والسعادة المادية الشخصية لما عدت الى الوطن من بريطانيا، وانا في بحبوحة علمية واجتماعية واقتصادية في 1980، وكانت سفرتي في آخر طائرة سمح لها بالوصول الى بغداد من عمان، حين كانت الحرب العراقية الايرانية مشتعلة.. وبعدها وفي تشرين الاول عام 1990

عدت الى الوطن من كندا حيث بقيت فيها اربعة شهور امتدت بعد ايفاد رسمي تخصصي في جراحة ام الدم الدماغية، امتدت السفرة بسبب مشاكل الطيران الى العراق في حينها. وقد كانت كلية الطب قد اعتبرتني مستقيلا بسبب تأخري عن موعد العودة، وبرغم المغريات هناك، واحتمال الحرب الاكيدة ومشاكلها والمشاكل الادارية، عدت الى الوطن وانا فخور بذلك، لاسهم مع الخيرين في خدمة هذا البلد العظيم. وفي منتصف التسعينات، ولكثرة ترددي على دول الخليج العربي للقاء اخوتي الثلاثة الساكنين هناك، قدمت لي وثيقة رسمية باعتباري اختصاصي درجة (أ) من وزارة الصحة في احدى دول الخليج العزيزة، وكان هذا اغراء يستحق الاستثمار من الناحية المادية، فضلا عن الخدمة التي امتدت الى ابناء شعبنا العربي هناك، ولكن لم ينفع ذلك وعدت الى صومعتي لخدمة مرضاي وطلابي.. وفي ايام الضيق الاقتصادي في التسعينات عرض عليّ بصورة غير مباشرة، ان اعمل في القطاع الخاص في احدى الدول الشقيقة، والدخل من ذلك كان خياليا بكل المقاييس. ورفضت هذا العرض واستمرت نفسي تواقة لخدمة الطريق الذي رسمته من ذي قبل. وفي هذا الوقت وفي هذا العمر فيومي لا تكفيه الـ(الاربع والعشرون) ساعة، واسبوعي لا تكفيه السبعة ايام. ولا زلت اعمل ومشاريعي تتواتر، حيث بدأت الان بمشروع طموح جدا في الترجمة لم يدخله أحد في الوطن العربي على هذا النحو.. وبرغم انه مشروع برعمي حتى الان، ولكن آمل ان يثمر إذا ما سارت الامور على ما اروم. والمشروع الثاني هو دراسة الدكتوراه علوم D.Sc والتي شرفني السيد وزير التعليم العالي والبحث العلمي بالطلب اليّ ان اقدم لها كي اسهم في جعلها حقيقة واقعة تشجع الزملاء على الانخراط فيها كسبيل لتقدم المسيرة العلمية في قطرنا العزيز. وهناك مشاريع صغيرة اخرى على مستوى الخدمة الصحية، والطبية، والتعليم الطبي، والجماهيري.

ـــــــعبد الهادي الخليلي في مرآة نفسه ـــــــ

عندما سألته عن رؤيته لنفسه في مرآة نفسه قال الحكيم عبد الهادي الخليلي:

أومن بمقولة ايليا ابي ماضي القائل:

نسي الطين ساعة انه طين حقير فصال تيها وعربد

وافهم من هذه المقولة ان البشر جميعهم على حد سواء، وليس ثمة من هو أفضل من سواه.. دعني اقول لك بان ذلك يشكل بالنسبة لي مبدأً اساسياً في حياتي، ولنا ان نتملى قوله تعالى: أن اكرمكم عند الله اتقاكم، فهذا القول الالهي يعبر عن تأكيد الخالق على ان الناس جميعاً سواسية لا فرق بين ابيضهم واسودهم واصفرهم، بين غنيهم وفقيرهم.

والمبدأ الثاني ينطلق من مقولة احفظها عن جبران خليل جبران تمثلت في اجابته عن تساؤل يقول: ماذا تعمل لو علمت بيوم اجلك؟

اجاب جبران بحماسة: استمر في عملي حتى يوافيني أجلي!

من هنا، وعبر هذه الحكمة الدقيقة، تراني اعمل جاهداً كيما أصل الى قناعة بأنني اعمل ما يجب!

وحياتي، عبر منهج منظم ودقيق ومبرمج، تنقسم الى ثلاثة محاور، ويراودني حلم جميل في ان تتحول هذه المحاور الثلاثة الى اربعة محاور!! على فكرة يقول الخليلي – فانا اضع برنامجاً سنوياً اؤمل نفسي بان التزم به.. وقديماً قيل تجري الرياح بما لا تشتهي السفن!

اذ انني أستطيع تطبيق 10% من هذا البرنامج لأسباب شتى، من بينها الفجوة الواسعة بيني وبين من اتمنى ان يساعدونني في تطبيق ذلك.

المحور الاول من تلك المحاور الثلاثة:

- خدمة المريض: وهذا يتطلب سمّواً في المهنة ومسايرةً للتقدم الحاصل في العالم بما يتصل بمهنة (الجراحة العصبية)، وايصال ذلك بأمانة الى جرّاحي المستقبل من طلاب هذا النوع الصعب من الجراحة، والذي ينعكس على خدمة أفضل للمريض.. ولتكامل الخدمة المقدسة يجب مراعاة مبدأ ان يكون المريض هو انا او من القريبين اليَّ من الاهل والاصدقاء والمعارف، وبذلك يكون التعامل مع المريض بهذه الروحية.. ولعل الامتزاج الروحي مع المريض ومع ذويه يشكل محور هذه العلاقة المقدسة والتي إن تحقق لها الصلاح، تؤمَّن علاجاً ناجحاً وسرعة في التشافي، اذ من احيا نفساً كمن احيا الناس جميعاً.

اما المحور الثاني فهو:

- المحور الأكاديمي: وهذا اساس في (صناعة) اطباء المستقبل ممن يحملون الخبرة والمعرفة الكافية بمسؤوليتهم المقدسة، وهو محور دعني اسميه مقدساً، كقدسية خدمة المريض، وانقل عن نبينا (صلى الله عليه واله وسلم) انه دخل مسجداً فرأى اناساً يصلون وآخرين يتعلمون في حلقة معلم، فقال مشيراً الى المصلين: اما هؤلاء فيطلبون من الله سبحانه وتعالى، فان شاء اعطاءهم وان لم يشأ لم يعطهم. واما هؤلاء مشيراً الى حلقة العلم: فهم يتعلمون، وقد بعثت معلماً، ثم دنا (صلوات الله عليه وسلامه) وجلس عندهم.. من هنا تتضح قدسية التعليم وضرورة ان يكون العلم من المهد الى اللحد.. وحينما ادرَس – يقول الدكتور الخليلي عبد الهادي – اعتقد بان ما اقوم به يعد واجباً مقدساً، ويلزمني شعوري هذا بان اجيء الى حلقة الدرس وانا مستعد له استعداداً كاملاً حتى لو كانت المحاضرة من البديهيات التعليمية، واقول لك بصدق انني احب طلابي جميعاً دون استثناء، واحاول جاهداً ان اصلح من لم يضع اقدامه على الصراط المستقيم إن سلوكاً او علماً، وابقى اشعر بالمسؤولية ازاءهم حتى تخرجهم... وللدراسات العليا في رؤية الطبيب الخليلي اهتمام مضاعفاً ذلك لأنها السلم المؤدي صوب العلاقة المباشرة والاساسية والخطيرة بالمريض، وانا اتمنى –يقول– بل واعمل على ان يكون طلابي افضل مني في المستقبل كيما يتحقق (التصاعد) العلمي المطلوب في تقدم مهنتنا لخدمة المجتمع، ذلك لأنني ادرك عمق المعنى الذي توصل اليه امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) يوم قال : (علموا اولادكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم) وعلينا ان (نزرع) في طبيبنا الخوف من (حسابين)، الاول حساب الخالق سبحانه حيث يقف بينك وبين المريض، والاخر حساب القانون .

وعن المحور الثالث:

- العلاقة مع المجتمع، فتلك معادلة تبدو للرائي سهلة لكنها تضطم على صعوبة بالغة، فالطبيب الاختصاص عبر صعوبة هذه المعادلة، عليه ان يدرك انه طبيب قبل ان يكون اختصاصياً، والاهم من ذلك ان يدرك انه انسان قبل ان يكون طبيباً، فمسؤوليته تكون شمولية عبر هذه المواقع الثلاثية المذكورة، فكونه انساناً، يحب ان يدرك ان دوره لابد وان يمتزج بأدوار الاخرين في الاختصاصات ومناحي الحياة المتباينة، ولكل منهم دوره في المجتمع الذي يحيط بهم احاطة السوار بالمعصم. أي بعبارة دقيقة وواضحة ان على الطبيب ان يقدر بان ما يقدمه لمجتمعه يحسب ضرورياً ذلك لان ما يصيب المجتمع من خير او شر سيكون نصيبه منهما قطعاً، وعلى وفق قانون الأواني المستطرقة، وعلى الطبيب ان يمتزج بجميع العلماء والادباء والمفكرين لتطوير خدماته الطبيبة وفق رؤية شمولية صائبة.

فلم يتقدم المجتمع في العصر الراهن الا بخدمات اختصاصية اخرى كالفيزياء (الليزر والاشعة) والكيمياء (الفحوصات المتخصصة، والعلاج المتطور) والهندسة (الاطراف الصناعية، والكومبيوتر) واللغة والتي هي اساس ايصال معلومات الى الاخرين وغير ذلك، وهل الطبيب ينسى وقع الموسيقى على اعصابه وهو يدخل (صومعة) العمل؟

اما المحور الرابع الذي اتمنى ان اضيفه الى قائمة (محاوري) الثلاثة الاخرى ــ يقول الدكتور عبد الهادي الخليلي – فهو محور العائلة والعلاقات الاجتماعية فانا اشعر بالتقصير والقصور في تحقيق هذا المحور، وليس امامي وانا اصارحك بهذا (التقصير) يا مؤيد إلا ان اتقدم بشكر وافر الى رفيقة درب حياتي السيدة حنان صادق الخليلي التي كانت عوناً صادقاً لي وانا اؤدي دوري الانساني بتضحية، ادركت تماماً من خلال صبرها وحب ابنتيَّ (صبا) و(رند) وولدي (ياسر) انهم كانوا جميعاً، وفي مراحل عديدة من حياتهم، يتطلعون الى ان اكون معهم اسوة بكل الاباء، ولكن مسؤوليتي كطبيب، كثيراً ما ابعدتني عنهم وهم صبورون بحكم وصايا الام النبيلة المضحية، وهذا يذكرني ايضاً بعدم ادائي لمسؤولياتي الاجتماعية ازاء الاصدقاء والمعارف، وربما يكون عزائي في ذلك صبرهم وتفهم الكثير منهم لتفاصيل مهنتي التي ابعدتني عن اهلي وعنهم كثيراً .

احمد الله على ما انا عليه الان ولكن كان يمكن ان اكون غير ذلك لو كان الذين يحيطون بي قد وعوا ما عندي لهم ولمجتمعنا، وما كان يمكنني ان أقدمه دونما مقابل.

لقد بدأت الحياة الواعية في بيتي الصغير، وفي بيت عائلة الخليلي الكبير وبيت الكوفة والنجف الرحب، لقد كان والدي صارما كالعديد من الاباء في ذلك الزمان، وصرامته متوجهة صوب الجدية في الحياة وطلب الكمال لأبنائه، كما يراه هو حسب فلسفته، فكنت الجيدّ احياناً، والمقصَّر في احيان اخرى، وكنت لا اتفاعل مع تقريعي في بعض الاحيان، واسرح في افكار اخرى، لاني كنت مؤمناً بما عملت ولا يثنيني تقريع الوالد الا احتراماً وتقديساً له، لقد كان مثالاً لي في المحبة لعائلتنا من ال الخليلي، وخصوصاً الفقراء منهم، حيث لم يخل بيتنا في أي من ايام الاربعينيات والخمسينيات من وجود واحد او اكثر من ارحاماً الفقراء او اليتامى ساكنا في بيتنا يأكل، مما نأكل، وله منام كمنامنا وقد دخلوا المدرسة كما دخلناها، وعندما ضاق بنا وبهم البيت، خرجوا منه عوائل أو أفراداً الى سكن قريب ولكن تحت رعاية الله، حيث استطاعوا رعاية انفسهم او تزوجوا وتحققت لهم سبل الحياة وكان يعاملهم جميعاً كما يعاملنا ولم يكن يستغلهم بالقيام بعمل اضافي مطلقاً وظلل بحنوه وصلة رحمه العديدين الذين لم يسكنوا في بيتنا او في مدينتنا ليشمل الارحام في النجف والحلة والهندية وبغداد والكاظمية وغيرها، لقد كان رحمه الله يطبب المرضى في دار حكمته الملاصق لبيتنا في محلة السراي في الكوفة، وكان علينا نحن الابناء ان نهيئ المكان ترتيباً وتنظيفاً فضلا عن تأمين (التساكر)

ومفردها (تســـكرة)(1) وهي الورقة التي يكتب عليها وصـــفته التي يعطيها للمريض كي يذهب الى المرحوم (محمد حسـين العطار) ليعطيه بدوره دواءً من الادوية العربية المحضـرة من قبله وبالاتفاق المسـبق مع الوالد على طريقة تحضيرها وكان فحص الرجال بالجلوس مباشرة امامه، ولكن فحص النساء يتطلب جلوسهن خلف سـتار سـميك والتحدث مع الوالد من خلال فتحة في الجدار يشـرف عليها، ولكن الجالس معه في الغرفة لا يمكنه رؤية المريضـة، والمريضـة بطبيعة الحال متشـحه بالسـواد الا من عين واحدة يَطلَعّ من خلالها على ما تبديه من شكوى مرضية، وحتى هذه لا يحصل عليها في احيان كثيرة، حينما تكون المريضـة قد لبست البرقع (البوشـية)، وغطت حتى العين الواحدة تلك .. وهنا اتذكر طريفة حدثت لسيدة انكليزية وهي زوجة أحد مثقفي الكوفة، والتي كانت تلبس العباءة والبوشـية (اسـاس العفة)، وحينما كانت تسـير في الشـارع سـقطت عباءتها عنها وبقيت معتدة بنفسها وهي تمشي لمسافة وقد كانت سعيدة بعفتها لان البوشية لم تسقط عن وجهها!

وكان دار حكمته بعد مغادرة المرضـــى مجمعا لخيار الكوفة ومثقفيها من المقربين، وتدور هناك الأحاديث الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية حيث يدلو كلّ بدلوه مما يفهم ويتصور ويعرف، وكنا نحن الابناء، نتمتع بهذه الأحاديث الشـيقة، ولكننا كنا (نمتعض) حينما يكلفنا أحدهم بان نجلب له الخبز الحار من الخباز قبيل مغادرته الى بيته! وتعلمت الكثير من هذه المجالس التي كان يطغي عليها الصـدق والعفوية والحرية في التعبير، وكان الجميع ملتزمين بأعلى درجات الادب في أحاديثهم وردودهم وحتى خلال انصـــاتهم، وبذلك صـار هذا السلوك درساً عملياً لي. وحينما توفي أحدهم وانا في الاول المتوسط، كلفني المرحوم والدي بإلقاء كلمة تأبينية نيابة عنه بسبب وعكة صحية اصابته في حينها. وكان ذلك في حفل مهيب في الجامع المجاور لبيتنا (جامع بنت الملا)، وحضـرته شـخصـيات عديدة مهمة من المدينة ومن النجف والفرات الاوسـط وبغداد وغيرها، ووقفت امام مكبر الصوت لأخاطب الجمع الكبير نيابة عنه، وكان ادائي موضع رضا الجميع ورضا والدي.. ودخلت الكتاتيب في جامع (الترك أي الاتراك) وكان شـيخنا المرحوم الشـيخ خضـير، والملقب بيننا بالشـيخ (زنبور) لشـدته وصـرامته، وفي الحقيقة كان يجاهد لان نتعلم بطريقته المخلصـة الصـادقة، والتي لم نكن نألفها يومذاك حتى درسنا (جزء عم) من القران الكريم وبعضـا من اللغة العربية، والحساب، واذكر حينما كنا نجمع اثنين زائد اثنين لتكون اربعة كان يكتب كلمة (صـــح) عليها ولا يؤمن بوضـــع (اشـــارة الصـــح) المتعارف عليها لأنها (تؤذي اللغة كما يقول)!! وهناك تعلمت أدب المســـجد واحترامه واهمية الالتزام بالوقت واحترام الآخرين وغير ذلك.

وكان المرحوم الوالد يمنحنا (عانة) كاملة، وكانت تسـاوي اربعة فلوس، لكل بيت شـعر نحفظه، وكان هذا الدافع المغري للصـــبيان لحفظ الكثير من الشـــعر، حتى كنا نتبارى بما يدعى بالمطاردة الشـــعرية المعروفة،

---

(1) التسكرة: تعني التذكرة (الراشيتة) اليوم

حيث يطلب من المتبارين، ان يبدأوا بحرف بداية صـــدر البيت بقافية البيت الذي قرأه المتباري الاول وهكذا، ولا حدود لعدد المتبارين لان الجميع يمكن لهم ان يشتركوا في المباراة.

وبدأت الابتدائية في مدرسـة الكوفة والتي تبدل اسـمها خلال دراسـتي الى مدرسـة ابن حيان، وكنت في حينها لم أكمل الخامسـة بعد، وكان دخولي بالواسـطة، لان احد معلمي المدرسـة كان المرحوم امان الخليلي وهم ابن عم لوالدي، فيما كان مدير المدرسة المرحوم راضي الأعسم صديقاً لوالدي. وفي الحقيقة لم يكن ذلك من الاحوال النادرة، اذ ان قوانين الدخول الى المدرسـة لم تكن صـارمة جداً في حينها، وقال المفتش التربوي عند زيارته للمدرسة، لماذا لم تجلبوا مهده معه؟!

وانا في المدرسـة الابتدائية (ابن حيان) في الكوفة، عرفت نفسـي حينئذ، حينما كان معلم اللغة الانكليزية الاسـتاذ يوسـف الفلوجي لا يدقق واجباتي اليومية وزميلي عبد الوهاب الجالس خلفي، لأنه كان واثقاً من ان واجباتنا تؤدى من كلينا كل على طريقته، وانه لا فائدة من تدقيق واجبات عبد الوهاب، لأنه واثق من خلوها من الصح لان عبد الوهاب صديقي العزيز كان يعتقد بان درس اللغة هذا ليس ضرورياً. وبعد التخرج التحقت بمدرسـة متوسـطة الكوفة للبنين. وكانت كحال بقية المدارس المتوسـطة قد بلغت مسـتوى متميزاً في التدريس وكفاءة في المدرسـين، وهنا يجب ان اذكر بالعرفان والتبجيل الاسـتاذ عبد الرحمن حلمي من مصـر الشـقيقة والذي وفد منها لتدريسـنا درس الاحياء وكان اسـتاذا جليلا جاء العراق لدراسـة طبيعة حياة الضـفادع فيه بكل تفاصـيلها البايولوجية، وكان يجلب لنا نتاج بحوثه عن الضـفادع بمختلف ادوار اسـتحالتها ونشـاهد تفاصـيلها من مجهره الخاص، والذي لم اشـاهد ما يماثله الا حديثا، فلقد كان يؤشـر بقلمه خارج سـاحة المجهر وعلى ورقة وضـعها على الطاولة، وترى رأس قلمه يؤشر على المنطقة التي يريدنا ان نركز عليها في النموذج الذي يمعن النظر فيه تحت المجهر. وتدرجت حتى وصـــلت الى الصـــف الثالث، وهنا بدأت نقطة التحول في حياتي، فقد بدأت اكتب اسمي بدون اسم والدي مع اعتزازي وفخري به، وبذا قد بدأت مسيرتي كشخصية ذات اسـتقلالية في نهاية السـنة التي كانت سـنة تجربة امتحانية حيث أصـبح الامتحان شـاملا للصـفوف الاولى والثانية والثالثة وللفرع العلمي ويتطلب دروس الاحياء (الحيوان والنبات) والرياضـــيات والهندســـة، وكان الامتحان لدور واحد فقط. ودخلت الامتحان للسـنة الدراسـية 1956–1957، ولكنني ولأسـباب خاصـة بي لم اجتز امتحان الاحياء، وبذا اخفقت، مما الزمني دخول الفرع التجاري وهكذا كان.

فكرت ان اكون طبيباً منذ كنت في الصـف الاول المتوسط وقد دفعني الى ذلك سـحر العلاقة بين الطبيب والمريض والتي عايشـتها في دار حكمة والدي، كما قررت ان اكتب اسـمي: عبد الهادي الخليلي، وليس عبد الهادي محمد صـالح الخليلي مع بالغ اعتزازي بوالدي وفخري به، سـواء في المدينة ام خارجها، فبدأت احس بنفسي لنفسي وليس من خلال والدي.

اخفقت في الدخول الى الفرع العلمي عام 1956 – 1957، واضـــطررت للدخول في الفرع التجاري، ولم يثنني ذلك عن مســـيرتي الطبية، فلقد درســـت، وبشـــغف الرابع التجاري، واعفيت في نهاية العام من اداء الامتحان النهائي مع زملائي، ودخلت امتحان الثالث المتوسـط ثانية كطالب خارجي، وكان ذلك مخالفا لرأي الجميع لما كنت فيه من تفوق في القسـم التجاري، شـمل الرفض، اهلي واصـدقائي واسـاتذتي، ودخلت الرابع العلمي ولم اشعر بالضـعف او الوهن امام زملائي الذين كانوا في الصـف الخامس العلمي وهم من اقراني في المتوسطة.

دخلت كلية الطب وبدأت بتسلق سلم الصـدارة، وعرفت بين اقراني متميزا، حتى اكملت الكلية عام 1966 وانا الاول على دفعتي.

الخليلي والآخرون

يقول الاستاذ الدكتور محمد عبدالله فلاح الراوي رئيس جامعة بغداد، نقيب اطباء العراق، واصفاً البداية الاولى لتعرفه على العلامة الخليلي: تعرفت عليه بداية دخولي الكلية الطبية، فيما كنت اقرأ مجلة صوت الطلبة – لسان حال الاتحاد الوطني لطلبة العراق ـــ لحظتها وقعت عيناي على موضوع نشرته المجلة مع الطلبة الاوائل المتخرجين في كلية الطب في السنوات السابقة، وكان الخليلي الاول على، دفعته، وحين انتهيت من قراءة الموضوع الصحفي، اعجبت بشخصية ذلك الطالب الذي شق طريقه بالصبر والكفاح والذكاء والاقتدار، فأستحق مع كل هذه المزايا، ان يكون الطالب (القدوة).

ثم يواصل الدكتور الراوي مستعرضاً مراحل تعرفه بالخليلي الاستاذ فيقول: في المرحلة الخامسة من دراستي في كلية الطب بجامعة بغداد، وفي درس من الدروس السريرية في مستشفى الجملة العصبية، دخل علينا استاذٌ جديد، انطلق يحدثنا بلباقة وبأسلوب علمي ويتحرك بدقة. وفي فترة الاستراحة سألت عن هوية هذا الاستاذ، فقيل لي انه طبيب جديد جاء لتوه من خارج القطر اسمه (عبد الهادي الخليلي)، فسرعان ما تذكرت المجلة وحوارها مع الخليلي، فاندفعت لا قدم المجلة له مع عبارة تنبئ عن تقديري للطالب القدوة بالأمس، والاستاذ القدوة اليوم.

وبعد عودتي من خارج العراق ـــ يقول السيد رئيس جامعة بغداد ـــ واثناء عملي في كلية الطب، عرفت الاستاذ الخليلي واسع المعرفة، رصين البحث، حسن السلوك.. وفي نظراته الجديدة المتفائلة ابتسامة ورحمة يحتاجهما المريض، ولهذه الاسباب اختير الدكتور الخليلي الاستاذ الاول في كلية الطب. ثم قدَّرَ لي ان التقيه لمرات عديدة من موقعي كعميد لكلية الطب، وكان الرجل يأتي في كل لقاء من لقاءاتنا ومعه مقترح نافع او مشروع بحث او اقتراح، وهكذا ظل عطاؤه في الكلية مستمراً ... ثم يعبر الدكتور الراوي عن فرحته يوم سمع بنبأ فوز استاذه الخليلي بجائزة اتحاد الاطباء العرب، ذلك لأنه يشعر بان الفوز الذي بلغه الخليلي هو فوز لجامعة بغداد وكلية الطب، بل لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ولنقابة الاطباء بكل فرسانها ومجاهديها.

ويستنتج الدكتور محمد عبد الله فلاح الراوي بان اداء الخليلي لواجباته بحرص وعمق واخلاق، هو الذي جعله يبلغ هذا الشأو الكبير ويحظى بهذه الاهمية الاستثنائية.

ولمناسبة فوز الخليلي، جراح الجملة العصبية الذي أثبتَ كفاءةً علمية رفيعة المستوى على النطاق العلمي العربي والعالمي ـــ على حد وصف **الاستاذ الدكتور عبد الاله الخشاب رئيس جامعة بغداد السابق** ـــ قال العلامة الخشاب بأن هذا الفوز يعد فرصة ذهبية لإثبات جدارة العلماء العراقيين في خوض غمار البحث العلمي والابتكار ايام الرخاء وايام الشدة.

اما العلامة والطبيب الباحث الكبير الاستاذ الدكتور محمود حياوي حماش رئيس جامعة صدام فقد قال: مستعرضاً تلك السنين التي مرت على علاقته بالخليلي: لقد كنا طلاباً معاً في كلية الطب، وكان بيني وبين زميلي الخليلي فرق بسيط في المراحل الدراسية، لكنني مازلت اتذكر الخليلي المجد والشفاف والصادق، وقد كنت المس كل هذه الصفات فيه من خلال سلوكه وتصرفاته.

لقد كانت زمالتي للدكتور الخليلي، فيما بعد ـــــ يقول الدكتور حماش ـــــ حافزاً لي على البحث والتنقيب والتمحيص . وقد قطعنا معاً مدة طويلة في مجال العمل والحوار.

وفي تسليطه الضوء على عمل الخليلي العلمي والسريري قال الدكتور حماش، ان اسلوب الرجل متميز في العلاج والتدريس ومعاملة المرضى. وقد ولج الخليلي ابواباً لم يطرقها سواه من قبل، بل واستحدث في مجالات عمله أكثر من نشاط ملحوظ، سواء على صعيد الندوات ام في العيادات الاستشارية المتخصصة، فهو يقيم ندوة اسبوعية للأمراض المستعصية في العيون ومحاجرها في مستشفى ابن الهيثم، فيما يقوم في مكان اخر بدراسة اصابات الرأس بصورة معمقة، فضلاً عن اسهامه في تطوير المكتبات الطبية المتخصصة، تصنيفاً وتبويباً، واعتبر الدكتور محمود حياوي حماش هذه النشاطات جهداً تعبيرياً عن الروح الدؤوبة الجادة للدكتور الخليلي.

ولم ينس الاستاذ رئيس جامعة صدام الاشارة الى ان المغريات الكثيرة التي قدمت للدكتور الخليلي في الخارج، فضلاً عن ظروف الحصار الصعبة لم تقويا جميعها على ان تهز موقفه الوطني او تنال من شخصيته العراقية والعربية الواثقة من سلامة قضية الوطن والامة.

ويحدثنا الاستاذ الدكتور العلامة كمال مظهر احمد، استاذ التاريخ الحديث في جامعة بغداد، عبر صورة قلمية جميلة عن الطبيب والانسان عبد الهادي الخليلي فيقول: بدأت اسمع باسمه منذ اواسط السبعينيات، وكان جل من يتحدثون عنه بأجلال ينم عن حب اصيل وتقدير كبير من مرضاه الكرد او من ذويهم الذين كانوا يحملون عنه اطيب المشاعر، ومنهم من يؤكد بصورة خاصة على كلماته وعباراته الطيبة باللغة الكردية التي تعلمها من مرضاه، فكان ذلك التفاتة انسانية جميلة منه نحوهم تليق بمن هو من طينته وبمن يبحث، فضلا عن التخفيف عن آلام الاخرين، بعمل رصين ولسان حسن.

سرعان ما انتقل الوصف الجميل للطبيب الانسان الى داخل الاسرة نفسها، فان الدكتورة ميسون طاهر الحيدري التي عرفته عن كثب بحكم المهنة ومكان العمل، بدأت تروي عنه بين الحين والاخر ما يشرف كائناً من كان ـــــ علم غزير، عشق للاختصاص، تواضع جم، لسان عفيف، حب للخير لا يعرف الحدود. وهكذا كبرت الصورة في العقل الباطن.

وكبرت الصـورة أكثر حين تحدث عنه شـيخ وقور، وعالم جليل معروف هو عبد الكريم المدرس الذي زاره الطبيب الانســان في صــومعته في الحضــرة الكيلانية، بعد ان زار العديد من امثاله في الصــوب الاخر والمدرسة الاخرى متسائلاً:

هل يجوز للطبيب ان يرفع جهاز ديمومة الحياة عن معذبين لا أمل لهم في العيش رفقاً بهم وبأهلهم؟

اذن فان مخافة الخالق قانون كامن بين جوانح الرجل، ليس هذا فقط، يقول العلامة مظهر ـ بل ان الاقدار شاءت ان تكون لنا حاجة به، فان عقيلة الاستاذ الجليل وصديق العمر الدكتور امين سعيد غدت في حاجة ليد الخليلي لتنقذها من شـلل اقعدها على مدى أشـهر طوال لم يسـعفها خلالها دواء ولا علاج. قالوا انه يجل الدكتور حسين علي محفوظ، فليكن وسيطكم اليه، مع انه لا يحتاج الى وسيط، اضفى حديث محفوظ الشيق عنه مسحة رومانسية على الصورة التي كانت تكبر وتكبر قبل ان تراها العين.

ويبدو لي من خلال تجاربي في الحياة ان الصـورة التي يرسـمها الخيال بريشـة أحاديث الآخرين ورواياتهم تكون اكبر عادة من الواقع الا ما ندر، وصورة الدكتور عبد الهادي الخليلي واحدة من تلك النوادر.

ويتحدث الدكتور كمال مظهر احمد عن لقائه بالدكتور الخليلي فيقول: كان اللقاء الاول في عيادته المكتظة، واللقاء الثاني في مستشفى النجاة، تخللته عملية معقدة استغرقت أكثر من ست ساعات، راقبته عن كثب وبفضول، لأجده جديراً بكل ما يروى عنه، بل وأكثر، فهو ملاك في ثوب انسان.

ثم كان لقاء اخر جمع الدكتور مظهر بالخليلي، وعن هذا اللقاء يتحدث الدكتور كمال:

التقينا في مجلس جميل ضـم نخبة من كرد بغداد جمعهم زميله الدكتور عمر دزه يى احتفاء به لمناسـبة اختياره طبيباً اول في حقل اختصاصه من بين جميع الاطباء العرب، احسست بحب الجميع وتقديرهم الكبير له، والتفافهم حوله، ومع ان هموم الاطباء ولغتهم طغت على حلقات المجلس الكبير، الا ان ركن الفكر فيه جذب المحتفى به ليجلس بين، الاسـتاذ مسـعود محمد وبيني، فوجدته، مغرماً بالأدب، قريباً من موضـوعاته، مرهف الحس، حلو الحديث كما توقعت ذلك مسبقاً، او ليس الرجل فرعاً من شجرة آل الخليلي الوارفة تشبعت روحه بالفضـائل التي توارثها عنهم، وعن الاجواء التي نشـأ فيها وترعرع، اجواء النجف (فلورنسـا العرب) في عصر النهضة بجدارة؟

وبعد ايام قلائل اسـتمعت لاول مرة الى محاضـرة القاها في قاعة نقابة الاطباء بحضـور جمع غفير من زملائه في المهنة ومن الادباء والمسؤولين والمحبين وغيرهم ممن اكتظت بهم القاعة، فتلمست فيه وقار العالم متجسداً، ولم استغرب حين وجدته بعد شهر، ويبقى من بين القلائل الذين شملهم قانون رعاية العلماء.

وتساءلت ذات مرة:

أوَ هل يعاني حتى هذا الانسان الفذ من صغار العقول في وطني؟

قالوا: بلى..
لكني لم أفاجأ!

اما الاستاذ الدكتور المهندس حسيب يحيى المدير العام في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي فهاهو يصف صديقه الخليلي بانه نطاسي بارع كانت بصماته واضحة في مجال تخصصه. وبعد ان يستعرض الدكتور حسيب يحيى مسيرة الخليلي، يخلص الى القول بان الرجل قد جمع بين العمل المهني والعمل الأكاديمي، فهو طبيب وجراح مبرز في جراحة الدماغ والعمود الفقري، فضلاً عن جهوده في حقل جراحة محجر العين، ذلك لأنه الرائد في بلادنا في الدخول الى محجر العين من جميع الاتجاهات! ووفق هذا التميّز يقول الدكتور حسيب: لقد استنبط لعملية استكشاف محجر العين، كما استنبط الالة البغدادية لاستخراج الاكياس المائية حاصلاً على براءة اختراع، الى جانب حصوله على جائزة أفضل خمسة اختراعات في بلادنا.

لكن أستاذه العلامة الطبيب والفنان التشكيلي القدير الدكتور خالد القصاب يختصر كل الرؤى التي شكلت صورة الخليلي الطبيب والإنسان في صورة قلمية جميلة يختارها لنا من خلال صور كثيرة لا مجال لعدها أو حصرها، تكونت عبر مسيرته التدريسية في كلية طب جامعة بغداد.. ولعل دقة هذه الصورة تجعلنا جميعاً نطمح في أن نرافق خطوطها عبر قلم الأستاذ القصاب الذي يقطر دقة في التعبير، وجمالاً في الوصف، وروعة في استجلاء المواقف، حداً تكون كل تلك الخطوط على كثب من الخليلي، الذي انتصب بقامة متواضعة ـــ كما يقول هو نفسه ويصر على القول، بأنه كان بإزاء عمالقة الطب في بلادنا ومن بينهم صاحب هذه الصورة القلمية الجميلة، الدكتور القصاب ـــ الذي يقول في صورته التي تتنقل خطوطها من هنا وهناك..

يقول القصاب من مئات الصور المتراكمة من ذاكرتي عن التدريس في كلية الطب، تبرز صورة مجموعة فريدة من طلبة الصف السادس المتدربين في وحدتي الجراحية عام 1965، بقت واضحة طرية، ترفض الاختفاء والنسيان، تحت ما تراكم فوقها من صور لاحقة لمدة ثلاثين عاماً. ضمت المجموعة أثنا عشر طالباً، أدهشوني بحماسهم ونشاطهم وتطلعهم للازدياد من المعرفة بعلوم الطب وملاحقتهم لأساتذتهم في قاعات المحاضرات وفي أروقة المستشفى التعليمي!

وكان من الواضح أن أبرزهم هو طالب غلبت على وجهه ابتسامة دائمة ولمعت عيناه ببريق الذكاء، أسمه عبد الهادي الخليلي، وسرعان ما أثبت هذا الطالب دقة انطباعي الأول عنه، فأحتل موقع الخريج الأول في نهاية العام، متفوقاً على المئات من زملائه.

ونجاحه الأول هذا لم يكن كافياً لتعليل كل ما حققه في مسيرته الطبية السديدة بعد التخرج، فالكثير ممن امتازوا في تخرجهم من الكلية ضـــاعت قابلياتهم في دروب الحياة الكثيرة ولم ينته بهم المطاف ليجدوا محلاً لهم بين النخبة من الأطباء!

لقد استمر الدكتور (هادي) بنفس الحماس الذي عرف به كطالب ليحقق نجاحاً مطرداً في تطوير معلوماته النظرية والعملية. فحاز على شهادة الاختصاص بالجراحة العامة من لندن، وأردف ذلك باختصاصه الجراحي الضيق في جراحة الجملة العصبية، الفرع العجيب والمهم في الجراحة، كذلك تابع جهده بدورات تدريب خاصة في أوروبا في الجراحة المجهرية وفي جراحة الأعصاب.

مارس الدكتور الخليلي اختصاصه على أحسن وجه، وساهم بصورة مستمرة في إجراء بحوث عالية، وكان من النادر أن يكون هناك مؤتمر طبي عراقي من غير أن يكون أسمه بين المشاركين المتميزين.

وحقق كذلك نجاحاً ملحوظاً في مؤتمرات طبية خارج العراق، في البلاد العربية والأجنبية، وحاز على جوائز عالمية نتيجة لذلك، وهنا يجب أن أســـجل له اعماله الطوعية في الجمعيات العلمية كجمعية مكافحة السـرطان، والجمعية الطبية العراقية، في تنظيم المؤتمرات والندوات والدورات التنشـيطية للأطباء الجدد.. وقد ضـــمن الدكتور الخليلي موقعاً مرموقاً له في المجتمع البغدادي لثقافته الواســعة واهتماماته الأدبية والتاريخية والاجتماعية، وخرج على المجتمع الكبير بمحاضـــرات في مواضـــيع عامة كان منها تطور الطب في القرن الحادي والعشرين، والنواحي القانونية في أثبات ساعة الوفاة، واستعمالات الحاسبات الإلكترونية وغيرها.

وأكثر من كل ما ذكرت، كان تعامل الدكتور (هادي) تعاملاً أمثل مع مرضـــاه، وبقي أســـمه دالاً على إنسانيته ومصداقيته مع المرضى. أن الطبيب هو كورقة نقود لا تعني شيئاً إذا لم تكن هناك ثقة بها تجعلها مطمحاً وموضع احترام من الجميع.

أني كأحد أساتذة الدكتور هادي الخليلي، أشعر بالفخر بأنه كان أحد طلابي، وإن عَلّقَ على صدره وسام الاعتراف بنجاحه الكبير، فأني أعتبر نجاحه تكريماً لي ووساماً على صدري، لأنني كنت أحد أساتذته.

إذا كانت كلية الطب مصنعاً لتوخي الطبيب المثالي فأني، وأنا أراه بين الناس، أود أن أقول بفخر: أنظروا هذا هو نتاجنا!

وفي إشارة ضافية تحدثت **الدكتورة ميسون عبد الكريم العبيدي أمين عام المكتبة المركزية لجامعة بغداد** عن رؤيتها للخليلي فقالت في رسالة إلى مؤلف الكتاب:

عرفت الأســـتاذ الدكتور الخليلي معلوماتياً من خلال اهتمامه ومشـــاركاته في الندوات والمؤتمرات والمحاضـــرات التي تقيمها الجمعية العراقية للمكتبات والمعلومات والأمانة العامة للمكتبة المركزية لجامعة بغداد ومتابعاً لشؤون جمع وتنظيم المعلومات الطبية باستخدام التقنيات الحديثة في المؤسسات الصحية.

فقد كان يلبي الدعوات رغم مشاغله الكثيرة ويلقي البحوث والمحاضرات، ومتابعاً علمياً لكل المستجدات، مستخدماً التقنيات الحديثة في المجال المعلوماتي.

ويصف الدكتور المهندس مازن عبد الحميد كاظم عميد كلية المعلوماتية بجامعة صدام وعضو المجمع العلمي، مشاعر رفقته العلمية للدكتور الخليلي بالقول:

عرفناه إنساناً بكل معنى الكلمة، يتميز بالانضباط والأخلاق العالية والتواضع وصدق التعامل. وعرفناه رجلاً مبتسماً دائماً دافعا بالاطمئنان الى قلوب الآخرين، وهذه صفة مهمة كونه طبيباً عالماً. نرجو له التوفيق والنجاح الدائم، ليزهو به العراق والأمة العربية.

ثم يضيف: الحديث عن الأستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي سهل وصعب في آن واحد. تكمن السهولة في أنه أشهر من نار على علم، وأن تفاصيل سيرته مدونة ومعروفة بشكل يغبطه عليه الآخرون، لذلك لو تحددت كلماتي بشرح جديد لاهتماماته ونشاطاته وعلمه وأدبه ودراسته ونسبه وعائلته لسهل الأمر وهان، إلا أن الصعوبة تكمن في رغبتي بالكتابة عما يتكلم عنه الآخرون قليلاً، أي عن جانب من شخصيته العلمية المتميزة وما يستنبط من فكر نير وفلسفة علمية نادرة وأفق رحيب يتجاوز الطب الذي هو مهنته الرسمية!

وقبل أن نلج في ذلك يمكنني القول، أنني عرفت أخاه الذي كان زميلاً لي في الجامعة التكنولوجية وزميلاً في الاختصاص (الهندسة الإلكترونية)، وكنا نلتقي الدكتور عبد الهادي الخليلي في بعض المناسبات العائلية، وكذلك ضمن نشاطنا العلمي المتعلق بالأجهزة والمنظومات الإلكترونية التي يمكن أن تَسَخّر للعمل الطبي. ومن المعروف أن الخليلي كان له ولع بالإلكترونيات أيضا، لم تكن العلاقة بيننا آنذاك تنافس علاقتي بزميلي الدكتور ضامن محمد صالح الخليلي، الأخ الأصغر للدكتور عبد الهادي. وكان ضامن متمكناً من اختصاصه، دؤوباً في عمله، حاضر البديهة والنكتة، لين العريكة، محبوباً من الجميع. وحينما شاء القدر أن تنتقل العلاقة الأقوى إلى الدكتور عبد الهادي – لما يجمعنا من اهتمامات علمية وثقافية وأدبية ووطنية – وجدته عالماً لا يجارى، وطبيباً حكيماً لا يبارى، وعربياً أصيلاً، ومسلماً حريصا، ومربياً فاضلا، هذا إضافة إلى خصاله الشخصية التي فيها ما فيها من حسن الخلق والبديهة الصائبة والنكتة الحاضرة التي فاق بها أخاه وربما هي تجري في عروق هذه العائلة الكريمة.

أذن لن نتكلم عن الأصل والنسب، وقد تكلم عن ذلك المؤرخون.

ولا عن طبه وتميزه واختراعاته، وقد أشاد بها في الغرب والشرق مختصون.

ولا عن تفانيه في حب الوطن، وهو دأب عائلة الخليلي مدى العصور.

أما عن انسانيته وخلقه وأدبه ورعايته لطلبته فهو شائع ومعروف.

إلى غير ذلك من كفايته وحكمته وكتبه ومؤلفاته، ذلك لأنني لن أزيد على ما قام به الزملاء الآخرون خير قيام، ولن أحمل الأمر تحليلاً وتوثيقاً مضافاً.

لقد اخترت جانباً علمياً من عمله، وجدت فيه مجالاً للكتابة والتحقيق، وهو جانب يربطني بالخليلي بشكل دقيق مما يتميز به فكر الخليلي، الشمولية ووحدة السنن. فهو، وإن كان حكيماً (طبيباً)، إلا أنه يتعامل مع اختصاصه كجانب من جوانب العلم الشامل الذي يعكس وحدة الخلق والخليقة.

ولأغراض المتابعة والإفادة فهو يقسم العلوم إلى قسمين:

إنساني (ويشمل الروحاني)، وعلمي صرف وتطبيقي، ولكنه ينظر إليهما نظرة شاملة تتداخل فيها التفرعات العلمية لتؤدي إلى محصلة حيوية واضحة، وهو دوماً لايسعى إلى متابعة العلم وركوب موجته حسب، بل إلى التميز فيه، ويرى ان نسلك طريقاً خاصاً بنا، إذا أردنا التقدم الصحيح والسريع للعودة إلى مكانتنا التاريخية السابقة.

هذا الطريق في رأي الخليلي يأخذ بنظر الاعتبار البحث ونقل التقانة وتطويرها في مجالين اثنين، يسمي أولهما بالعمودي، والثاني بالأفقي. الأول (العمودي) هو العلم بكل شيء عن شيء معين وهو علم المتخصصين، والثاني (الأفقي) هو العلم بشيء عن كل شيء وهو علم الجماهير العلمية (حسب تعبير الدكتور الخليلي).

للخليلي في هذه الرؤية نهج جديد لم أجد أنه حظي بما يستحقه من انتباه لدى المخططين العلميين. غالباً ما يكمن السبب في أننا في البلدان النامية نعمل بردود فعل للتقدم العلمي في أماكن أخرى في العالم بغية اللحاق به، مع أن نظرية اللحاق غير مجدية في هذا المقام.

يجد الخليلي (حسب قراءتي لنظريته) أن واقع الدول المتقدمة يمثل في النقطة س من الشكل (1)

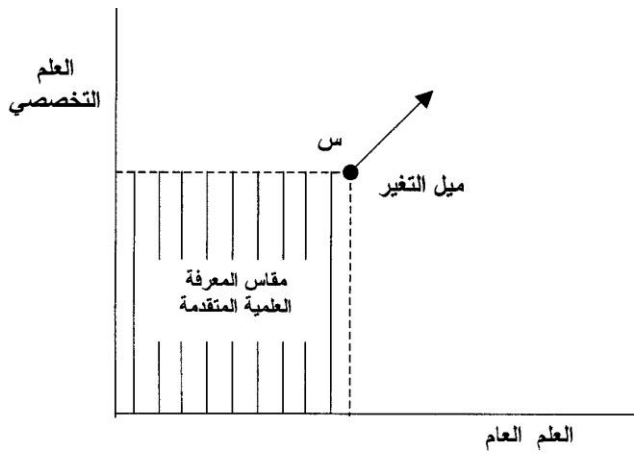

الشكل (١)

أي ان العلم العام (علم الجماهير العلمية كما يسميه الخليلي) .. في زمن معين لدى الغرب قد وصل إلى أفضل حالاته الممكنة، وكذلك الحال بالنسبة للعلم المتخصص.

أما واقعنا، وواقع الكثير من البلدان النامية الأخرى خلال نفس الفترة الزمنية، فهو كما في الشكل (2).

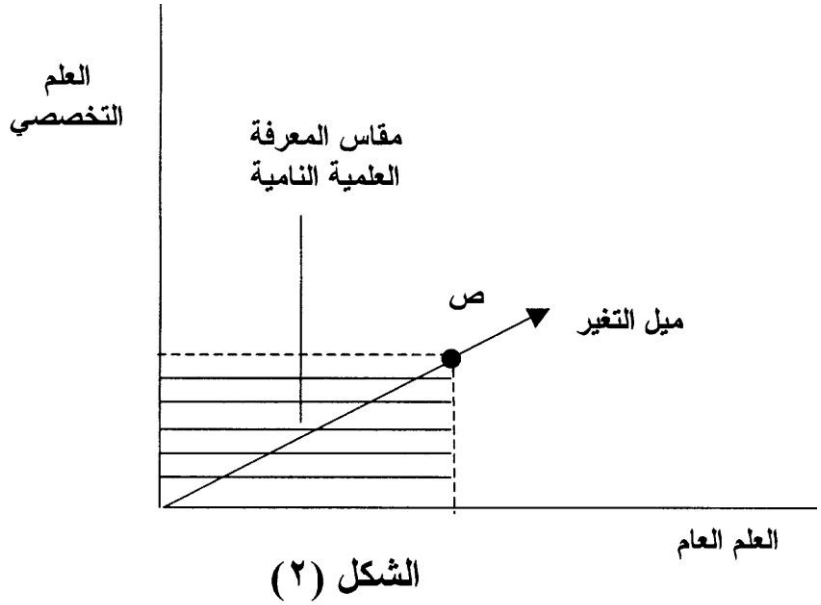

الشكل (٢)

وفيه يظهر مقاس المعرفة المتواضـــع الذي تمثله النقطة ص. ولو جمعت الحالتين لوجدت الحالة التي في الشكل (3).

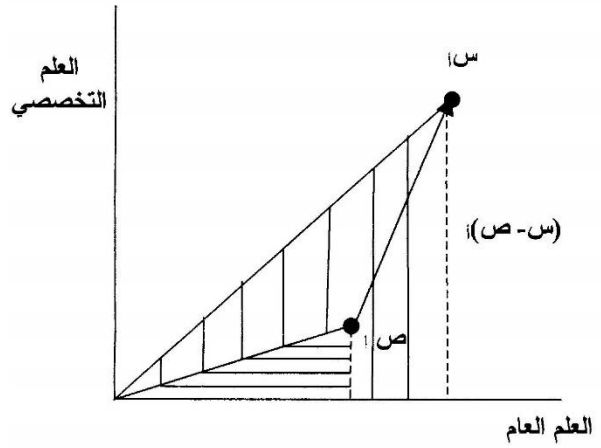

(أ) حاليا

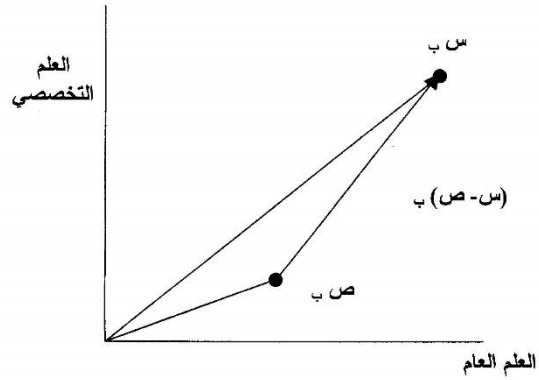

(ب) لاحقا

أن مسيرتنا (اللحاقية) ستجعل الفجوة العلمية تتفاقم. فلإن (س – ص) (وهي الدلالة على الفجوة العلمية)، ستزداد مع الزمن بالنسبة لما كانت عليه، وهي الممثلة بـ(س– ص).

الخليلي قلق أذن من هذه الحالة ونشـــاركه نحن قلقه. نظرية الخليلي في حل هذه الأزمة العلمية التي لا تقلق كل الدول النامية المقودة والقاصرة، ولكنها تقلق بعضاً منها، كالعراق مثلاً (لأنه يتطلع إلى مواكبة العالم العلمي لا اللحاق به عن بعد). تأخذ النظرية الخليلية النهج الآتي: اختيار بعض التخصـــصـــات الدقيقة

المتقدمة جداً (العلم العمودي) ودعمها مادياً وبشرياً دعماً غير محدود مع ما تحتاجه بالحد الأدنى من دعامة علمية عامة (العلم الأفقي)، وبذلك يمكن تمثيل وجهة نظره كما في الشكل (4).

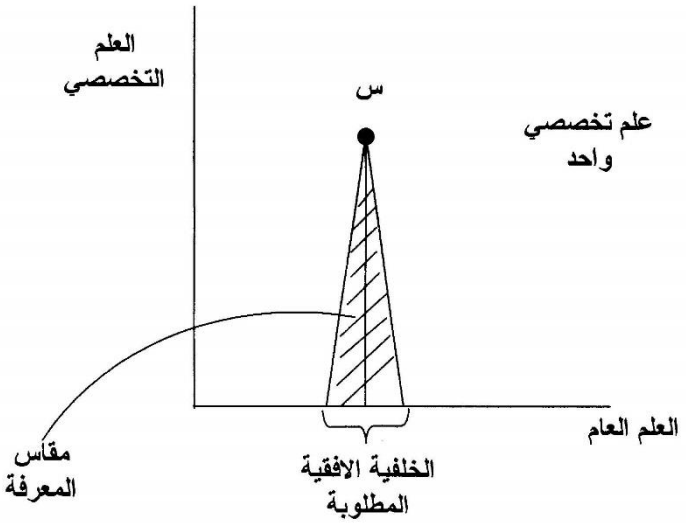

الشكل (٤)

ولكن الخليلي لا يختار تخصصاً دقيقاً واحداً ويقول: لو أخترنا مجموعة من التخصصات الدقيقة بعدد محدود من مجالات المعرفة المتخصصة لاستطعنا النهوض العمودي المطلوب بمدة قياسية مع عدم إهمال التقدم الأقل سرعة في العلم الأفقي الساند. وهذا يجعلنا نمتلك ناحية أو أكثر من نواحي العلم بشكل كامل. وفي تحليلي لهذه النظرية أجد بأنها بحاجة إلى مناقشة العلاقة بين التخصصات المختلفة، من حيث تداخل المتطلبات الأفقية (أولاً)، ونسبة الطول الأفقي المطلوب لكل طول عمودي (ثانياً)، فماذا لو كانت العلاقات كما في الشكل (5) مثلاً؟

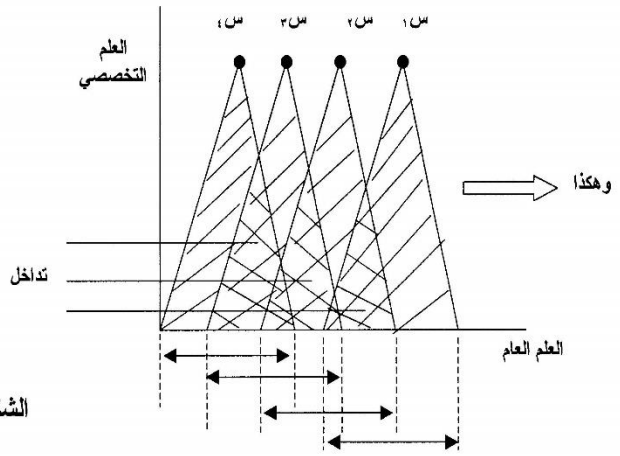

الشكل (٥)

أفلا يكون حجم المعرفة المطلوبة، إذا جمعت تداخلاتها قد آل إلى الحالة الممثلة في الشـــكل (1)، وهي الحالة التي تتمثل في الحاجة إلى بعد تخصصي (عمودي) مؤازر على وجه عام من علم عام (افقي) مواكب له في كل صـــغيرة وكبيرة؟ وبذلك هل ســـتكون هذه النظرية عند التطبيق مؤدية إلى الحاجة لمزيد من الزمن لتحقيق المطلوب لا اختصـــاره؟ هذا مجال لم نكتشـــف أجوبته ضـــمن ما كتبه الخليلي باختصـــار حول.. (التواصـل مع العلم والمعرفة)، ولكنها بلا شك موجودة في عقله النير وخياله الواسـع، وما عليه إلا أن يبرزها لتكون نظريته مفسرة وأكثر.

كما يمكن تعزيز النظرية الخليلية بالتعليق على شـــواهد تأريخية.. فهل يعتبر نهج اليابان العلمي الناجح، على سبيل المثال، في بعض العلوم والتكنولوجيات، وتركها لأخرى، تجربة ناجحة تنسجم مع نظرية الخليلي؟، وهل يعتبر النهج الســـوفياتي (ســـابقاً) في التركيز على الصـــناعات الثقيلة وترك تكنولوجيات الحياة الأخرى تجربة غير موفقة؟، وأن كان ذلك، فما هو موقفها إذن من النظرية الخليلية؟ بالتأكيد سـيأتي الخليلي بتفسـير وافٍ ونظرة شـاملة تَسّـوَغّ ما يدعو إليه، وإنا لذلك منتظرون بلهفة الاسـتزادة من الإمكانية الفكرية الفذة لمفكر معاصر متميز.

لقد بينت في بداية هذه الكلمات بأنني سأتطرق إلى جانب يسير جداً من نشاطات الأستاذ الخليلي الواسعة والشاملة، واخترت منه مثالاً واحداً فقط. ولكن ليسمح لي زميلي العزيز أن أشير إلى جوانب أخرى، منها من خلال هذه الأبيات المتواضعة وليسلم لنا ولأمته وعراقه العظيم.

حكيم الزمان طبيب البدن بفكر منير قليل الوسن

فحيوا (لبقراطنا) طبه ففيه لنا كل نهج حسن
وفي علمه أصل طب قديم وفي طبه فضل علم ركن
فهذا المشيب وقاراً بدا لفوديك منه جلال المزن
وقلبك تاه بحب الديار وعينك باهت بحب الوطن
وإنا لندعوك منا قريباً تعين المريض لدرء الحزن
وكم قد شفيت مريضاً لنا بعون الإله وحسن الفطن
فما خاب منا رجاء إليك لتسمو بنا في فضاء السنن
فكم من مقام إليك انتهى وعلم رفيع بليغ اللسن
وكم جيل طب إليك استجاب له من عطاياك فيض كمن
فكنت المعلم دوماً لهم وكنت لهم ناصحاً في المحن
عطاؤك للخير صار الدليل لمن يقتفي في المسير السكن
فأودعتها في بني أمة رسالة طب تزيل الشجن
فحيوا كريم الخصال الذي ترضي وترضي الزمن

فحيوا كريم الخصال الذيولكي نلم برؤى تلامذته، لابد لنا أن نقف بوضوح على كثب من مشاعرهم بإزاء معلمهم، وهنا نسجل رؤيتيْ تلميذين سارا إلى جوار أستاذهما ينهلان من علمه الغزير.

اقول لنبدأ مع الدكتور مازن جعفر خصباك، طبيب اختصاصي التخدير في وحدة تخدير الجراحة العصبية في مستشفى الجراحات للجراحات التخصصية.

يقول الدكتور مازن مسجلاً رؤيته بالحرف: بعد أكثر من خمس وعشرين سنة من تخرجي (وعملي) كطبيب تَرَجحّ لي ما مفاده أن كل طبيب يمكن تقييمه من أربعة جوانب رئيسية تمثل صميم عمله، أما ما عدا ذلك فهو شأنه الخاص به.

هذه الجوانب الأربعة – كما سيأتي ذكرها – مرتبة حسب تسلسل قياس المقدرة في التوسع بعد استيفاء الواجب الرئيسي كطبيب أولاً وآخراً:

1- الموقع كطبيب.
2- الموقع كمعلم.
3- الموقع كباحث.
4- النظرة الفلسفية.

- الاستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي كطبيب: هذا هو حجر الزاوية والركن الأساس في سجل أي طبيب أصلاً، ورحلة الطبيب عبد الهادي الخليلي تتكلم عن نفسها منذ 1966، من خلال سجل أعماله، فهو الطبيب العام الناجح (علماً وأخلاقاً)، وهو الاختصاصي البارع في فرع الجراحة العصبية، كما أنه الطبيب المتمكن بإتقانه للاختصاص الدقيق في فرع جراحة محجر العين، الذي يعد قمة إنجازاته الطبية في العراق، إن لم يكن في منطقة الشرق الأدنى. أن افتتاح مركز خاص بجراحة محجر العين إنجاز طبي أصيل غير مسبوق في العراق، على الأقل حسب معرفتي المتواضعة.

وما تكريم عبد الهادي الخليلي كطبيب أول في الوطن العربي إلا تأكيداً لجدية هذه السطور.

- عبد الهادي الخليلي كمعلم: نذر نفسه للتعليم، وهو المطبق المنهجي للأسلوب التعليمي التربوي لأحدث الأساليب المتوفرة، عنده نجد الجواب العلمي المقنع الذي يأخذ موقعه الصحيح في ذهن المقابل دون أن يتسبب في أي إرباك أو تشتت.

يمتاز المعلم الكبير عبد الهادي الخليلي بمقدرته على مخاطبة وتعليم من حوله، كلاً حسب مستواه، وهذا يمكن أن يشمل طلاباً في كلية الطب أو الممرضة أو المضمد..... الخ. وحتى المعين البسيط، فالكل ينهل حسب اجتهاده.

لا يفوت على البال الإصـــرار على التعليم المســـتمر لما هو مســـتحدث في الطب، ولا ننســـى إلقاءه المحاضرات خارج المجموعة الطبية وضمنها، فهو المتميز في هذا المجال بلا منازع.

ولا يغرب عن بال أحد أنه أحد التدريسيين المعروفين في كلية طب جامعة بغداد، وقد ترقى علمياً في هذه الكلية العريقة ليصل إلى درجة أستاذ منذ فترة طويلة.

- الاستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي كباحث: يمكن اختصار هذه المسألة بالنقاط الآتية:

أ. قناعته الثابتة بضـرورة التزاوج بين العلوم المختلفة. أليس بحثه في إصـابة الأمام علي (كرم الله وجهه) وتحليل الأسباب الممكنة لوفاته دليلاً على المزاوجة بين علمي التاريخ والجراحة العصبية؟

ب. هدفه الدائم إلى البحوث التطبيقية المتميزة.

ج. تركيزه على ضرورة الاصالة في بحوثه.

د. عدم الكلل من وضع مشاريع بحوث مستقبلية باستمرار

وكدليل على النقطة (2) وتفاصـــيل النقطة (3) نجد في تكريمه كأســـتاذ جامعة بغداد الأول دليلاً على صحة ما ذهبنا إليه.

- الاستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي كفيلسوف: أن هذا العامل يعكس حس الطبيب وموقعه في الهرم العلمي بين العلوم النقلية من جهة والعلوم العقلية والتجريدية من جهة أخرى.. ففي فلســـفة الطب فإن لعبد الهادي الخليلي ما يلي:

أ. نظرة خاصـــــة في موقع الطب وتميزه بين المنقول والمعقول والتجربة، بكونه الوجه الآخر للعملة التي تجمع بين علم الأديان والأبدان في قطعة نقدية واحدة.

ب. لديه نظرة متميزة في مسألة الحياة والموت، مع اهتمام خاص بمسألة موت الدباغ.

إن عبد الهادي الخليلي ينظر الى الموت لا بفزع، بل ينظر إليه كمخلوق لطيف يعيش بيننا ويطل علينا ساعة الوفاة! فلا داعي للجزع.

وما زلت أنتظر منه المزيد.

وبعد.. ربما لو قدر لليوم أن يكون أكثر من ثلاثين ســـاعة مثلاً مما نعمل به، لما اســـتوفت نشـــاطات ومشاريع وطموحات عبد الهادي الخليلي.

أني أرجو من الله وحده أن تكون أعماله كلها خالصة لوجهه هو ليكتب له موقعه الذي يستحقه.

ويتحدث الدكتور ياسر عبد المجيد (خريج دفعة عام 2002) عن استاذه الخليلي ناقلا الينا رؤيته بازاء هذا الاســـتاذ العلم، مؤطرا بالمحبة ما قدمه (ابو الخير) الدكتور عبد الهادي الخليلي لطلابه وهم يواصـــلون

مسيرتهم على طريق مهنة الطب، حد تحويل احلام هؤلاء الطلاب الى حقيقة ملموسة – كما يؤكد ياسر –.. الجميل في حديث ياسر انه يسجل بمداد صادق مفردات رحلته مع استاذه بدقة ووضوح، مشيرا الى منهجه في تشجيع البحوث الطبية.. ولأهمية هذه الصور العلمية الجليلة دعونا ننقل اليكم حديث ياسر الذي يقول: في حياتنا هنالك اشخاص يدخلون عنوة، فيغيرون مجرى حياتنا بصورة جذرية، فتصبح حياتنا بدخولهم جزئين، جزءا قبل ان يدخلوا، وجزءا بعده.

ولا اجانب الحقيقة اذا قلت ان الاستاذ الخليلي هو واحد من اولئك الاشخاص في حياتي .. وتجنبا للمديح المفرط، والثناء المغالي الذي قد يتملكني وانا اكتب هذه السطور عنه، سأحاول ان اعرض بكل تجرد وموضوعية، بدايات لقاءاتي معه، شارحا كل موقف ومداخلاته، ومتأملا للمساته التي اضافها الى حياتي العلمية والشخصية.

لقائي الاول مع الاستاذ الخليلي لم يكن لقاء شخصيا ولم يكن وجها لوجه، بل كنت واحدا من اربعمائه طالب وطالبة في قاعة المحاضرات في كلية الطب، حيث كان الاستاذ يلقي محاضرته التمهيدية في جراحة الاعصاب، والتي يحرص على ان تكون تاريخية مشوقة، تسرد بدايات علم جراحة الاعصاب مرورا بحاضرها، وانتهاء بأستقراءات في مستقبلها.

ولقد سررنا نحن الطلبة بتلك المحاضرة الشيقة التي احتوت صورا تاريخية لحضارات واعلام وشواهد على امتداد السنين وملأت اذهاننا بالأفكار.

اما لقائي الثاني معه فكان في مكتبه عندما دخلت عليه طامعا في اجراء مقابلة معه لنشرها في الجدارية الشهرية التي كنا نصدرها نحن الطلبة في الكلية.

وبرغم ضيق وقته وانشغاله الا انه لم يعتذر واستقبلني قائلا بان لقاءنا هذا سيكون تعريفيا، تاركين اسئلة المقابلة لموعد لاحق.

وجلست اراقب الاستاذ الخليلي محاولا ان اخرج باستنتاجات عن شخصيته قد تعينني في صياغة اسئلة مناسبة للقاء، وغرقت في الافكار وانا اتابع تعامله مع زملائه وطلبته ومع الموظفين وغيرهم.

وخرجت من ذلك اللقاء التعريفي بغموض كبير وربطة عنق هدية منه بمناسبة عيد الفطر المبارك!

وجاء موعد المقابلة بعد اسبوع انتظرته بتلهف ورحت اسأله عن بداياته، وذكرياته، واساتذته، فكان يجيبني بتفصيل شيق عن كل سؤال، فاتحا امامي عند كل اجابة مغاليق ألف سؤال جديد.

اما لقائي الثالث فقد كان فاتحة عملي تحت اشرافه، وبداية لتعاملي مع شخصيته واكتسابي للكثير من علمه وارائه.

كان ذلك عندما طلب اليّ ان اطرح على طلبة المرحلة السادسة، فكرة المشاركة في مشروع جديد لتشجيع البحوث الطبية.

وقد كنت أكثر سـرورا بهذا التكليف، اذ سـرعان ما جمعت عددا من الطلبة الذين تملكهم الفضـل لمعرفة ماهية هذا المشروع.

وتمر الايام، ويطلب مني الاسـتاذ الخليلي ان نطرح المشـروع على جميع الطلبة ومن مختلف المراحل، وفكرة ذلك المشـروع ان يمكن الطلبة من العمل في مشـاريع بحثية علمية منظمة، في الحقول العلمية التي يرغبون بدراستها.

كان المشروع يكبر شيئا فشيئا امام اعيننا، واصبحت له لجان بحثية، ومسؤولون ومقررون وعدد جيد من الطلبة الطموحين من المشاركين.

وبلغ عملنا البحثي قمته خلال العطلة الصيفية، حيث قد تفرغ أكثر من عشرين طالبا وطالبة للعمل وبجهد واضح ضمن نشاطات المشروع وبأشراف ومتابعة الاستاذ الخليلي بنفسه على كل صغيرة وكبيرة.

لقد اكسبني هذا المشروع، اضافة لحب البحث والتعلم، صداقة زملاء أصبحوا اكثر من اخوة بالنسبة لي، وعلى الرغم من الفارق العمري بيني وبينهم، اصبحنا نلتقي ونخرج ونسأل عن بعضنا البعض.

لا اعرف الكثير عن شـخصـية الدكتور عبد الهادي الخليلي، بل لا اعرف شـيئا عما واجهه في حياته ليصبح على ما هو عليه الان، ولكني اعرف عنه ما يحتاج الطالب الصغير معرفته عن استاذه، انه انسان يستحق ان يكون مثلا اعلى، وقدوة يحتذي به جيل الشباب من الاطباء، بل جيل الشباب قاطبة، لما اجتمعت فيه من خصال حميدة ومثابرة واجتهاد.

وللأستاذ الخليلي، فلسفة خاصة به تقيه من شرور اليأس والقنوط، فهو يرى دائما ان على الانسان في سعيه الدنيوي، ان يتوقع اسوأ النتائج، وان لا تأخذ الاماني الكاذبة بتلابيبه، وبذلك يتجنب مرارة صدمة الواقع إذا جرت الامور بما لا تشتهي الانفس.. وهو يردد (ان الاحداث لا تكون مروعة إذا كانت متوقعة).

من الاشياء التي اثارت اعجابي في شخصية الاستاذ الخليلي في عمله، انه يمتلك قابلية فريدة للتعامل مع كل شـخص على قدر فهمه، فنبرته في الحديث مع طلبته من الاطباء تختلف عن حديثه مع سـكرتيرته، وتختلف عن حديثه مع أحد الموظفين البسطاء، واخرى عند حديثه مع المرضى.

وهو خلال تعامله ذاك، يكون في اقصـى حالات الهدوء، حتى اذا احتاج لرفع نبرة صـوته على احد المقصرين، تراه يفعل ذلك وهو في كامل السيطرة على اعصابه.

ولشخصية الاستاذ الخليلي سطوة على النفوس، وقوة ظاهرة لمستها عندما يتحدث معه الاخرون، فهم غالبا ما يكونوا منصتين له، مقتنعين بآرائه حتى وان طرحها للمناقشة او عرضها للتشكيل.

البعض منهم يناهزه سنا، او درجة علمية.

على ان للأســـتاذ الخليلي، مثل جميع القمم، اعداء يقفون ضـــده في الســـر اغلب الاحيان، وفي العلن بعضــها. وهو لديه في مواجهة ذلك فلسـفة عجيبة، اذ يقول ان الناس حوله اصـناف، (95%) منهم اعداء، و(3%) متفرجين، و(1%) ناصحين منافقين، و(1%) فقط من الاصدقاء المخلصين.

ذلك هو بعض ما قدمه لي استاذي ابو الخير عبد الهادي، اشياء كنت افتقدها بشدة من حولي في الكلية، فاذا به يحمل بين طيات افكاره مشـــاريع لتحويل احلامنا الى حقيقة ملموســـة، وطموحنا المندفع الى واقع عملي، وقد جملّنا بذلك دينا سنظل نحمله امانة في اعناقنا الى الابد.

وسجل الباحث الاستاذ محمد نجل العلامة الدكتور عيسى الخاقاني، مدير مجلس الكاظمية الثقافي (الخاقاني) رؤيته بإزاء الحكيم الخليلي بالحرف قائلا:

تمتاز مدينة بغداد عن غيرها من مدن العالم بخطوط سيرها السريعة التي تربط شمالها بالجنوب وشرقها بالغرب، فتشكل طريقا دائريا طويلا يمر تارة في جنة من بساتين واخرى على نهر رقراق، وهكذا تتغير الصور والامكنة من جميل الى أجمل.

وقد اعتدت ان اســابق الريح بســيارتي، فيأخذني الفكر من عالم الواقع المقيد الى عالم الخيال الحر، ومن هنا تخيلت ان حياتي انتهت بحادث ســير مؤســف وتركت الحياة وانتقلت الى الحياة الاخرى، فامتلكني حزن عميق، لأنني انســحبت دون ان اودع احبتي واقضــي صــلاتي وانجز كتاباتي المؤجلة، فهونت على نفســي وجال بخاطري حب الدنيا.. لم يكن المال يســـتهويني ولا الجاه يغريني، فقد كان لي قلم اعشـــقه ويعطيني، وبعض أحّبة هم رونق الارض وبهاؤها وعطر الوجود وسر ديمومته عندي.... عبد الهادي الخليلي.....

وصرخ صوت مزج الحقيقة بالخيال (الدكتور عبد الهادي محمد صالح الخليلي).

يجب ان تعود الى الدنيا، فلا يمكن ان تترك الارض بمحض ارادتك او ان تفارق طوعا مكانا فيه عبد الهادي الخليلي، الصورة المثلى للإنسانية الواعية في عطائها العلمي المتصل بقيم السماء.

فعدت ادراجي الى الملجأ الدائم بين ورقة بيضـــاء اتكئ عليها وقلم ازرق اتوكأ عليه، ليترجما معا نبض قلبي الى حروف تتراصـف طوليا بما يشـبه الشـريان الابهر، لأكتب عمن يؤنس طريق الحق، وهم القلة الذين ساروا على النهج القويم واختاروا الاطروحة السوية، فتشربوا من التراث بكل خيره ونبله وعمقه واخذوا من العلم المعاصر كنهه وذوقه وفنه وعلى رأسهم الاستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي.

ولكي لا تأخذني العاطفة الى حيث ابتعد عن منهج البحث العلمي، سـأضـع لمقالتي هذه اطارا يلم بها ولا اقول يلم به، فدراسـة شـخصـية كالأسـتاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي تتسـع كلما اتسـع البحث ولا تقف جذوة

تألقها اللافت عند الضـــوء الظاهر منها، بل تنير في كثير من الاحايين احلك الزوايا ظلمة وعتمة وتبتعد في مشاريعها الفكرية الى ضروب غير متوقعة تدخل منطوق الاسطورة والوهم.

ولكنه حين يؤمن ويصـــمم ويقرر ويبدأ العمل يصـــل الى النتيجة المطلوبة على ارض الواقع بعيدا عن الاساطير والاوهام، فقد تشعر من خلال متابعة عمله الابداعي في الجراحة الدماغية او في محجر العين او مركز السرطان، بان هناك بؤرة ضوء في فكره الوقاد (قد يكون اكتشفها في بحثه الدائم عن مكونات الدماغ البشري فاستثمرها) لا ترضى بالمقسوم الذي يتوقف عند الليل الذهني في التوهم كما يعتقد البعض بتحقيق الذات.. فهو لا يتمرحل او يتدرج تصاعديا في الاهداف، فمنذ ان يدرك بفطرته الخطوة القادمة في كل عمل يعمله او هدف يبحث عنه، فانه يتحرك في سبيل تحقيق ذلك الهدف او العمل، فقد تجده وهو طالب الدراسة المتوسطة وهي مرحلة ما بعد الابتدائية، وقد اختار ان يكون طبيبا، فعمل مساعدا لاحد اقاربه في صيدليته، ثم حَوّله القبول المركزي بعد نجاحه الى دراسة التجارة، ولكنه اعاد الامتحان واضاع سنة كاملة لأجل الهدف المنشود، وتخرج من الدراسة الثانوية يحمل المرتبة الاولى على محافظة النجف الاشرف ليلتحق بكلية الطب كما اراد قبل اكثر من خمس سنوات مرت على عمره الغض آنذاك.. هذا الحدث تكرر مع الخليلي مرة اخرى حينما طبق مع زميل له في احدى مستشفيات بغداد على ارانب جلبت لغرض الاختبار عليها وبعد ان عمل عليها لما يقرب السنة الكاملة واقتربت ساعة نتيجة العمل المضني والطويل، أخطأ حارس الارانب ونقل بعضها وخلط بعضها الاخر، بحيث ضاعت الارانب التي اجرى عليها اختباره، فما كان من الباحث الذي كد وتعب وارهق في بحثه الا ان يطلب من حارس الارانب ان يأتي بأرانب جديدة ويفصلها ولا يخلطها مرة اخرى.. وليبدأ العمل من جديد.. وكأن السنة التي ذهبت ادراج الرياح ما كانت، لذلك لا يمكن ان تقف حجر عثرة في طريق البحث العلمي.

فتفكيره المنطقي العلمي الفطري والذي لازمه منذ الطفولة، يدعوه الى ما يريد ان يصـــل اليه من نتيجة العمل، ولا يتوقف طويلا كما رأينا في القصتين، عند السلبيات التي اعاقت مشروعا من مشاريعه، فتحديد الهدف منذ البداية يجعل صورة نهاية المشروع واضحة المعالم لديه واعتقد من خلال علاقتي الحميمة معه ان الدكتور عبدالهادي الخليلي، لا يعترف بنظرية التجربة والخطأ ضـــمن اهدافه، فهو ليس تجريبيا، ان جاز التعبير، وانما عنده الهدف دائما نبيل ومفيد وواضح ودقيق، لذلك تكون وسائط الوصول اليه نبيلة ومفيدة وواضحة ودقيقة وبهذا تختفي العوامل السلبية في الصورة الظاهرية لديه من التأثير على هدفه، فلا تأخير الانجاز ولا عدم وجود المعين ولا الروتين وما شابه ذلك يدخل اهداف البروفيسور الخليلي الى التراخي والتردد، بل هو متأكد ان الاسوأ سيحصل دائما لذلك يبحث عن الكمال مهما كلفه ذلك من وقت او حرق اعصاب او جهد مضاعف.

واعود من حيث ابتدأت في منهجية البحث عند الكتابة عن هذه الشخصية التي ما قابلت احدا الا وتركت بصمتها في ذاته وضميره، يضاف على ذلك حالة الانبهار بالإنجاز الانساني المتمثل في سعة الافق والادراك والمتابعة والتحديث الفكري، كل هذه العوامل تجعل الكتابة عنها (أي الشخصية) عسيرة من ناحية ويسيره من ناحية اخرى، وباب عسرتها هو العلم الموسوعي والفكر المتجدد والطاقة الهائلة التي تتميز بها، تجعل الباحث يحتاج الى جهد كبير لمحاصرة النبوغ الفكري ثم جمعه وتأطيره، وبعد ذلك صبه في مقال، واما اليسير فهو وجود موضوع متكامل ودسم في تكوين الشخصية العلمية والثقافية، ولا يحتاج الباحث هنا الا اختيار المفردات المتوفرة لديه، ليغترف من بحر علمي متنقل ما يشاء ويبقى هو وما عنده من ادوات البحث التابعة. وحتى نتجاوز معا الجانب العسير في شخصية الدكتور عبد الهادي الخليلي ونحاصر نبوغه الفكري، نضع اطارا لتكوين هذه الشخصية من حيث العوامل التي انتجتها وهي اربعة عوامل:

اولا: العوامل الوراثية والاسرية.

ثانيا: العوامل البيئية والاجتماعية.

ثالثا: العوامل الذاتية.

رابعا: العوامل العلمية.

اولا: العوامل الوراثية: فقد ولد عبدالهادي محمد صالح الخليلي عام 1943 ميلادية من ابوين من آل الخليلي، كان والده طبيبا وقد مزج بين الطب الحديث والطب القديم وقد اشتهر (رحمة الله عليه) في مدينة النجف، الاشرف فضلا عن مدينة الكوفة التي كان يسكنها، وتميز بالفهم الدقيق والفحص المركز الواعي للحالات المرضية التي عرضت عليه، وذلك دون الامكانيات الحديثة التي توفرت لأطباء ذلك الزمان، فان كنا لا ننكر التأثير الوراثي للوالد على الولد، فأننا نذكر من باب الاستطراد، بان اسرة الخليلي (التي يَرْجَع بعض العلماء سلالتها الى اولاد النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام)، هذه الاسرة امتهنت الطب قبل اكثر من مئتي عام ومازالت الى الان، أي انها قد تكون العائلة الوحيدة في العالم التي التزمت النهج الطبي عملا وعلما من خلال ستة اجيال متعاقبة، فقد بدأ عميد هذه الاسرة المرحوم الشيخ خليل الخليلي هذه المهنة وبقيت في صلبه الى هذا اليوم وذلك مما ذكره مؤرخو النجف الاشرف، وقد يكون قبل الشيخ هناك من آبائه او اجداده من مارس الطبابة ولم تصل اليه تدوينات المؤرخين، خاصة في الفترة المظلمة من تاريخ العراق الحديث.

اعتقد ان هذا التراث الوراثي المتطور، كان يجب ان يصل بالإرادة الالهية الى الدكتور عبد الهادي الخليلي وان يكون من مكونات شخصيته الفذة، فلا يمكن للجينات الوراثية المكثفة إلاّ التأثير، وخاصة اذا اجتمعت لها كل عوامل النمو والاستقرار الذي ميز جهابذة هذه الاسرة.

ثانيا: العوامل البيئية والاجتماعية: كانت مدينة النجف الاشـــرف حيث مســـقط رأس الدكتور عبدالهادي الخليلي، تموج بالتيارات الفكرية والثقافية والسـياسـية والعلمية، فحين ولادته كانت المدينة ماتزال تشـعر بنشـوة النصر في الثورة العراقية الكبرى على العدو الدائم للعراق، بريطانيا، فمنها خرجت فتوى الجهاد، وعلى بواباتها نصـبت المشـانق، وكانت (خاناتها) مقرا لأسـرى الكومنولث، وما خرج منها مختص عظيم الا وكان حديث الوطن العربي من اقصاه الى اقصاه شاعرها شاعر العرب الاكبر وشيخها وعالمها يؤم المسلمين في المؤتمر الاسـلامي بالقدس الشـريف سـنة 1936 وكتابها وعلماؤها بين مؤلف ومحقق ومدقق، وهيئتها العلمية تتبعها المشـــارق والمغارب حتى اطلق عليها اســـم مدرســـة الفقه الكبرى.. من هذه البيئة ظهر العالم عبدالهادي الخليلي، ارضـــاً لا تعرف الخمول وكان هو كذلك، ولا ترضـــى الا بالكمال نتاجا وكان هو كذلك، اما في المجتمع النجفي، فقد حظيت اســـرة الخليلي، باحترام خاص، ففيهم العلماء المجتهدون وعلى رأســـهم آية الله الشيخ محمد الخليلي وفي اسرتهم رجال رفدوا المكتبة العربية الاسـلامية بشـتى صـنوف العلم والادب، فجعفر الخليلي اسـتاذ الرواية العربية وشـيخ الباحثين ودارس الشـخصـيات المتألق في سـبعة مجلدات (هكذا عرفتهم) وصـاحب الموسـوعات الطوال في المدن المقدسـة، وكذلك الباحث الاسـتاذ عباس الخليلي، ولا يمكن اغفال الباحث الاستاذ الدكتور عبدالهادي الخليلي ضمن ادباء ومفكري آل الخليلي الكرام فهو قارئ نهم لتراث الشعر والادب العربي وقد سـألني يوما عن بيت شـعر للعباس بن الاحنف ليسـتشـهد به في قضـية علمية وهي بيع واعارة الاعضاء البشرية والذي يقول فيه:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عينا للبكاء تعار

وقد ســمعت ان الشــيخ محمد الخليلي اخر اطباء الجيل القديم في النجف كان يعالج الناس بالأســلوبين القديم والجديد، ومن لم يجد له علاج عند العطار او في صــيدلية المدينة يبعثه الى بغداد مع توصــية، ولم يخبرنا الرواة انه لم يصـب يوما، بل كان بعض الناس يتشـافون عنده بالبركة التي يحملها حتى عاد مضـربا للأمثال في بلدته.

ثالثا: العوامل الذاتية: وقبل ان أطلق لقلمي العنان للكتابة عن العوامل الذاتية ضـمن مكونات شـخصـية الدكتور عبد الهادي الخليلي أأخذ مسـاحة خارج النص اتحرى فيها شـرحا للحديث النبوي الشـريف المعروف (من جد وجد)، والذي يختلف معه علماء النفس والاجتماع والذين يثبتون بالبراهين، بان هناك كثيراً من الناس جدوا ولم يجدوا، وقد ذهبت بهذا الرأي الى احد (العرفاء) المختصين في الفلسفة الاسلامية، فقال: نعم!! ليس كل من جد وجد ولكن هناك شـروطا وعوامل يجب ان تحيط بالجاد حتى يجد، فلو اتعب الاعمى نفســه فلن يبصـر، وكذلك لو جد من لا يملك المؤهلات، فأنه لا ينطبق عليه الحديث، فان كلام النبي المعصـوم صـلى الله عليه وآله وسـلم يؤكد على وضـع الامور في نصـابها، من جد مع امتلاكه مقومات ذلك وجد. واعود من

ســاحتي الى ســاحة الدكتور عبدالهادي الخليلي، لأوكد ان جميع مقومات الشــخصــية الناجحة من حيث الحضـور والتي تسمى هذه الايام (الكريزما) والعلم المقرون بالاحترام والتواضـع الجم مع الهشاشـة والبشاشـة والجدية مع الصـرامة في العمل، كونت جميعا ذاتية هذا الرجل الفذ، وكما يبدو لي ان الخليلي قد درب نفسـه منذ الطفولة على استيعاب الصدمات بنفس القوة التي يستقبل فيها المفرحات، فهو قد عقد اوتار اعصابه على مستوى وسط فلا تصـدر صـوتا نشـازا عاليا ولا تخرج دون صـدى او ترديد، واضـرب على ذلك مثلا: حينما رزقه الله تعالى (ياسـر) الولد الاول الذي جاء بعد (صـبا) و(رند) وكانت حرمه السـيدة حنان قد دخلت الى المسـتشـفى في حالة اعياء شـديد.. وجاءت الممرضـة لتخبره بالنبأ السـعيد (انه ولد.. ألف مبروك) ودون أي اكتراث سـألها عن حال الوالدة ومولودها وحين علم انهما بخير، شـكر الله واتم الموضــوع الذي كان يتحدث فيه، فالبهجة بقدوم المولود الولد بعد ابنتين، والقلق على السـيدة الوالدة بنت العم زالا بمجرد الحصــول على الناتج المطلوب وهو انهما بصحة جيدة.

ومن هنا اقول ان الاستاذ الدكتور عبدالهادي الخليلي قد منهج نفسـه في اطار علمي ودربها على التفاعل مع هذا النمط، حتى وان كان المجتمع في الغالب يتجه عكس سـيره، وذلك ديدن العظماء في كل العصــور وما على القارئ الكريم الا استذكار من حفروا اسمائهم على ذاكرة التاريخ الانساني ليجد وجه الشـبه بين ما حاولت تقريبه من شخصية الخليلي وشخصية اولئك الفطاحل، وطالما اني اتحدث عن العوامل الذاتية المكونة لشـخصـية الدكتور عبدالهادي الخليلي، فلا يمكن ان اغفل عامل الزمن وطريقة تعامل الخليلي معه، فهو كما المحت لا يكترث للوقت طالما ان العمل ينجز في اثناء سيره، واراه لا يسمح لستارة مسرح يومه ان تنزل دون ان يستفيد علميا من كل الثواني المتاحة، فان لم يستطع ان يكسب معلومة جديدة او يتم قديمه او ينقح فكرة او ينتج عملا، فانه يطلق ما عنده من افكار سـهلة مرنة ترتبط بتحريك الذهن لاثارة من حولة، فهو يتكلم مع الحداد عن اللحيم ومع الكهربائي عن الاسـلاك ومع كل من يتعامل معهم عن مهنهم او اهتماماتهم، فان جاء منهم ما يفيد (قيده) في فكره والا فهو يقص عليهم قصصا تدعوهم الى التفكير ويرى مستوى استيعاب إرساله الى اذهانهم وبذلك يكون قد انتج شــيئا مفيدا لغيره فالوقت لم يذهب ســدى او عبثا، وكأني به يتمثل قول المتنبي شاعر العربية العظيم:

اذا كنت ما تنويه فعلا مضارعا مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

وقد سئل ذات يوم عن الحكمة التي يؤمن بها فقال:

إذا مر بي يوم ولم استزد به علما فلا عد من عمري

وذلك ارى ان عبدالهادي الخليلي مستثمر ناجح ولكن استثماراته اختارت طريق العلم لا طريق المال، فهو كما يمتدح الافكار المتطورة والجديدة يضــع ملاحظاته على النقاط الممنهجة ليحددها في بودقة العلم، وكلما

ازداد الخليلي قربا منك زاد من ملاحظاته على أي كتابة علمية تصـــدر عنك، فقد رأيته يبارك لعالم جليل فكرته الجديدة في الكتابة ويشـــيد بها ولكنه يضـــع نقاط خلاف مع تصـــميم غلاف الكتاب ونوعية الورق واختلاف الخطوط ومكان اسم المؤلف وكأنه يخبرنا ان (الكمال) او ما يقرب من الكمال هو الصورة المثلى، فكما المضمون الممدوح من وجهة نظره مطلوب، كذلك الصورة الخارجية يجب ان تكون متكاملة، وهو يطبق هذا المبدأ على نفسه ايضا، فما شوهد الدكتور عبدالهادي الخليلي الا وهو على اتم صورة، فالأناقة من حيث الملبس والتنظيم والترتيب من حيث الشكل، يشكلان صورة ثابتة عنده فلا يمكن ان تجده قد خرج عن الوقار في تصرفاته وتوجهاته داخل المنزل وخارجه، وقد تكون المداعبة البليغة ذات المضمون المحمول والمشحون هي ذاتها ما يضعه امام اولاده حين يريد توجيه عمل من اعمالهم، واذا داعبك يوما بأسلوب يكتنز في داخله النصـــيحة مؤطرة باللوم فاعلم بانك قد اقتربت الى قلبه وان لك مكانا ومكانة اثيرة عنده، وارجو من الذين يقرأون هذه الكلمة ان يأخذوا بالشـــروط التي بحت بها، للاقتراب من قلب الدكتور عبدالهادي الخليلي، فعنده النكتة ذات مغزى ولا تطلق جزافا، وعلى المتلقي ان يضـــع حواســـه وافكاره في حالة من التهيؤ الكامل وان يدرك المراد من ثنايا الكلمات او يفهم المقصود. في اروقة المفردات، فالرجل يقصد من يريد، ويختار الوقت المناسب والمفردة الصحيحة والكلمة الدقيقة المعبرة، لإيصال فكرته وآرائه، فهو اسلوبي بحت، يعتمد المدرسة البنيوية نهجا لإيصال فكرته، فان افكاره ذات بناء متحد ومتراص يرتبط اولها بآخرها بطريقة جميلة يعتمد فيها ممارسة اسلوبه الحياتي باتساق، بعيدا عن ردود الافعال الوقتية او الانفعال العصبي المفضي في الغالب الى نتائج غير مأمونة.

هذه العوامل الذاتية التي تعرفت عليها من خلال قربي من الاستاذ الدكتور عبد الهادي الخليلي، وانا على علم يقين بان ما خفي منه كان أعظم، لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فهي محاولة لتقريب صـــورة عن مكونات شخصية هذا العالم العراقي الفذ.

رابعا: العوامل العلمية: ان اختلاف العوامل العلمية عن العوامل الاخرى التي ســـبق ذكرها هي انها لا تتأطر بأطار، كما عاملي الوراثة والبيئة ولا ترصد بعين الناقد المراقب كما العامل الذاتي، فهي متحركة سائلة لا تقف عند حدود ولا يمكن تسليط الضوء عليها، لحركتها الدوؤب، فان اردت ان تتأكد من شخصية الدكتور عبدالهادي الخليلي العلمية وتأثير هذا العامل عليه، ابحث وفي تسلسل تاريخي، عن المنهجية العلمية التي اعتمدها في طريقه وطريقته، فهو يتحول من طبيب عيون يشـــار له بالبنان الى (طبيب دماغ) لا لأن طب العيون فيه نقص، بل لان العين والانف والاذن والحنجرة وكل التفاصيل الدقيقة التي تربط الجسم البشري، تتغذى مباشرة من الدماغ، فهو اتقن المراحل الاولية المؤدية الى المرحلة الاشمل، واكمل فيها الطريق، ولأن الدماغ يصاب بكل الامراض التي تصيب الجسم البشري ويشترك بمفرده مع كثير من الحالات المستعصية

التي تفتك بالإنسان فهو يخرج عن التخصص الدقيق الى التخصص الادق في كل الامراض من ناحية وفي كل المواضع من ناحية اخرى، ومثال على ذلك: ان الدماغ يصاب بالجلطة كما القلب، ويصاب بالسرطان مثل ما تصاب الاجزاء الاخرى من الجسم، وقد يموت المرء والدماغ حي والعكس كذلك صحيح فقد يموت الدماغ ولكن جسم الانسان مازال يتغذى ويعيش، فهو اذن المحرك الاساس لكل الجوانح والجوارح وبه وبسببه يتحول المرء من المسؤولية الى عدمها، ولذلك اختاره الخليلي العالم موضوع علمه وعمله، وقد رافقته يوما لزيارة عالم جليل من علماء الدين ليستفتيه عن موت الدماغ الذي ان حدث لمريض فانه لن يعود الى الحياة، ولكنه سيتعذب حتى يموت، وسأل عن الموت الرحيم الذي يريح المريض المتعذب، وكتب عن ذلك بحثا قيما، وان شاهدت بعد ذلك بحوثا كثيرة في هذا المجال، لم تذكر للخليلي سبقته في تعميم هذا الموضوع على جميع الاطر المختصة والمشاركة فيه.

يضع الاستاذ الخليلي قاعدة علمية غريبة في تعامله مع البشر للصالح العام، فهو يفترض ابتداء ان من بين المئة هناك اكثر من خمسة وتسعين لمن تكون مضادة لتياره، وثلاثة بالمئة متفرجين، وواحدة بالمئة ناصح منافق، والواحدة بالمئة، ان وجدت، ستقف معه. هذا الافتراض يضعه في مأزقين هو يعرفهما أكثر من غيره، المأزق الاول: ان يتعامل بمفرده مع معطيات كل جديد دون الاستعانة بأحد والمأزق الاخر هو: الثقة بالنفس في التعاطي مع الاخرين، اذا اخذنا بنظر الاعتبار الافتراض القائم على الضدية والاختلاف، فالحياد بسيط جدا، وليس عند الخليلي وقت لكسب المحايدين، فالمنجز له هو، وهو المسؤول عنه وعليه، وسيستمر في طريق الشوك هذا حتى نهايته ليقطف الورد، قد يبدو الافتراض صعبا ولكن تطبيقه كما شاهدت على الطبيعة اصعب.

واخيرا فالعلمية عند الخليلي مقترنة بالإيمان، وايمانه هذا يدعوه الى البحث في ثنايا كتب التراث والدين عما يسند نظريته، فهو قد يسبق الى وضع لبنات فكرية مستندة الى التراث الاسلامي، سيصل اليها العلم الحديث بعد حين، ويؤكد ان هذه الامور قد حدثت من قبل، وتحدث عنها القرآن الكريم، كما في بحثه القيم عن محاولة انتقال البشر بواسطة الاشعة، كما هو الحال بالنسبة للوثائق والاوراق واستند في ذلك الى رواية الاسراء والمعراج وانتقال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بروحه وجسمه الى الملكوت الاعلى، حتى اصبح قاب قوسين او ادنى، وكذلك انتقال قصر بلقيس ملكة سبأ حينما نقله اصف بن برخيا قبل ان يرتد طرف نبي الله سليمان عليه السلام وعلى هذا الاساس فان الخطوات العلمية التي مازالت تحبو في العالم العربي، قد اشار اليها الاسلام الحنيف واكدها البحث القيم الذي قدمه الطبيب المؤمن، هذا الاطمئنان الايماني رفد العلم بروافد افتقدها كثير من علماء المنهج التجريبي الذين اخذوا من الحضارة العربية قشورها وما استطاعوا ان يوائموا بين قديمنا وحديثهم، فانجرفوا دون الاستناد الى حضارتهم وثبتوا كل ما وصل اليهم

الى الحضارة الغربية، دون تأصيل او تحقيق، وكنت قد قرأت كتيبا نشره الاستاذ (اورخان محمد علي) اسمه (العربية هو نتاج الايمان المطلق بالوحدانية)، وان كل تطور ذهني وعقلي يجب ان يصـــل الى نتيجة حتمية وهي الاعتراف بوجود خالق الكون، وهذا ما ميز الخليلي البروفســـور عن غيره، فالعلم عنده مدعم بالإيمان وكذلك ايمانه ليس ايمان عجائز توارثته عن الاجداد، فهو مدعم بالعلم ايضا.

اذن فالخليلي نتاج بين ســـكون الوراثة والبيئة وحركة الذات والعلم، فهو قد حرك ســـكون الوراثة وجعله مصـــدرا متحركا وخلق من بيئته مركزا ذاتيا يتحرك معه، وبذلك يكون قد حرك الثوابت في ذهنه. كما انه قد اوقف المتحركات وهي العوامل الذاتية والعلمية، ليضعها جميعا ممنهجة في صيرورة شخصيته العلمية، وبذلك يكون قد حرك الثابت وثبت المتحرك وهذا سر عبقرية الرجل، ليكون بذلك تشكيلا متكاملا للإنسانية المتطورة المتمثلة في شخص واحد اعرفه هو عبدالهادي محمد صالح الخليلي.

في الختام احب ان اوضـــح باني لم اكتب هذه الكلمات لتبقى تتداولها الاجيال لمجاملة رجل عايشـــته واحببته وانما كتبتها شـهادة صـادقة للتاريخ واعتقد في نهايتها بانني قربت صـورة الرجل وذكرت جوانب منها ووضـحت اماكن فيها، دون ان اضـع رتوشـا او أزوّق لوحة، وان صـدق ظني فان عبدالهادي الخليلي يشـبه جبل الجليد في وسـط البحر ظهر منه التسـع وتختفي ثمانية أتسـاعه في الماء، قد اكون تجاوزت في البحث عن الاجزاء الكامنة والباطنة، التي بدوت غير موفق فيها، لكنها تبقى محاولة في فهم مكونات شـخصـية فذة من الشخصيات العراقية والعربية في عصرنا الحاضر.

وبهذا نتأكد من مقولة البروفيســـور مايلز جيبســـون مدير مســـتشـــفى ليدز الجامعي حين قال بان هذه المستشفى لم تشهد من خمسة عشر عاما شخصا بكفاءة الدكتور الخليلي.

ودون اعداد مسبق جال خاطري برحلة سريعة في سيرة ومسيرة هذا الرافديني مع دون ان امكث قليلا في محطاتها، وهو الذي حببني في الدنيا لأنه أحد الذين يعاش معهم ومن اجلهم، ليس لان طبلات المرضـى في المســتشـــفيات تشـــهد انه كتب على كثير منها عبارة (متنازل عن الاجور) ويصـــرف من جيبه على علاج المحتاجين وانما لأن ما يفعله في السـر من اعمال الخير هو اكثر مما يعمله في العلن.. الان اعتقد كما أنتم القراء الاعزاء، بان هذه الدنيا لا تترك بمحض الارادة، ان كان فيها العالم العبقري الكبير الدكتور عبد الهادي الخليلي.

توصل استاذ الفلسفة في جامعات بغداد والمستنصرية والكوفة والاستاذ الزائر في جامعة باريس الرابعة بالســوربون والأســتاذ المتفرغ في الفلســفة في جامعتي كمبردج واكســفورد الدكتور عبد الامير الأعســم الى تحديد مزايا الدكتور عبد الهادي الخليلي (الحكمية)، مؤشـراً بدقة اقترابه من وصـف الحكمة بانتهاجه برنامجاً فكرياً في تفسير ظواهر الاعصاب وارتباطها بمكونات الحواس المتصلة بالمعرفة المباشرة

بالموجودات، الى جانب كينونته طبيبا في الجملة العصـــبية المرتبطة بالدماغ حيث التعاملات البحتة مع ماديات العقل.

وحدد الدكتور الأعســـم في حديث اســـتغرق الجوانب المحيطة بالخليلي مفكراً وحكيماً ومتفلســـفاً، المواقف المفضـية الى فتح ابواب معرفته المباشرة به، مسلطاً الضـوء على طروحاته الفلسـفية التي كشـف عن اهمية الجملة العصـبية في تكوين تصـورات الانسـان، ولأهمية ما توصـل اليه الدكتور الأعسـم وجدتُ من المفيد تماماً ان ادع طروحاته بكل ابعادها امام قراء هذا الكتاب التوثيقي للوقوف على رؤيته الكاملة بازاء الدكتور الخليلي.

يقول الاستاذ الأعسم:

يقترب الدكتور عبد الهادي الخليلي من وصـــف (الحكمة) مرتين؛ الأولى لأنه الطبيب الأســـتاذ في الجملة العصـبية المرتبطة بالدماغ، وهو الموضـوع المادي للعقل؛ والثانية لأنه انتهج لنفســه برنامجاً فكرياً في تفسير ظواهر الأعصاب وارتباطها بمكونات الحواس التي منها تصدر المعرفة المباشرة.

لقد عرفتُ الاسـتاذ الخليلي حكيماً من خلال ثلاثة مواقف: الاول، عندما وجدته يعرض لمشـروعاته الطبية التي أنجزها فأهلته ليكون الطبيب الأول (المثالي) بين الأطباء العرب. الثاني، عندما شـــاركته بمداخلة فلسـفية على محاضـرة له في الجملة العصـبية وأهميتها في تكوين التصـورات، وهل آلية الحواس كما هي آلية (الكمبيوتر)؟ والثالث، عندما اســـتمعتُ اليه في محاضـــرة في (بيت الحكمة) عن الجهاز العصبي وعلاقته بالتفكير.

ان هذه الملاحظات تأتي في سياق فلسفي لمعرفة مكان الأستاذ الخليلي في تطويع العملية الفكرية بالوسائل الطبيعية المباشرة؛ وهو بهذا يشرّح التفكير بيولوجيا وفسيولوجيا معاً، وكلا الأمران جعلاه يتفلسف فلسفة طبيعية تتصل بالدماغ.

لذلك، أستطيع أن أقول في حق الأستاذ الخليلي انه يملك ثلاث خصائص؛ الاولى، قوة البصيرة في ما يفكر وينســج من تفســير لظواهر الخلل في الجملة العصــبية. والثانية، مهارة الأنامل التي يمتلكها في التعرف على مواطن آلية الأعصاب وكيفية اصلاحها لتؤدي عملها المرتبط بالدماغ. والثالثة، قدرته الفائقة في تحديد الصـلة بين معطيات الحواس وسـيطرة الدماغ من جهة اصـلاح العطل أو النقص أو التقصـير ليكون فاعلاً أو كاملاً أو حسن الاداء.

انّ الأستاذ الدكتور الخليلي، الذي يشتهر عند الناس طبياً نطاسياً متميزاً، حكيم التصرف، ومتقن للعلم، وكبير القدر وملئ بإنسانية عامرة في نفسه، يقلّ وجود نظائر له في الأطباء الحكماء من المتفلسفين في هذا العصر.

وفي مقالة ضافية بقسمين نشرتها جريدة الفرات الصادرة في مدينة النجف الاشرف في الثامن والعشرين من شهر شباط سنة 2001 والحادي والعشرين من شهر اذار من السنة ذاتها اسهب بعلمية ورصانة المؤرخ الدكتور حميد مجيد هدو في الحديث عن الحكيم عبد الهادي الخليلي معتبراً هذا العلم القاً بين الانسانية والعلم، بدأ بتقصي مسيرة الاسرة الخليلية الكريمة ومزايا امتدادها، مارّاً مرورا سريعا بازاء خطوات اولئك الافذاذ في عالم الطب والشعر والمنطق وعلم الكلام والتجارة، مؤطرا في تضاعيف مقالته مسيرة المفكر والفيلسوف والحكيم الخليلي عبد الهادي، متابعا بدقة انجازاته العلمية، ولأهمية ان نجعل قارئ هذا الكتاب في صلب رؤية مثقفي بلادنا بأزاء الحكيم الخليلي وجدنا من المناسب ان ننشر النص الكامل لهذه المقالة بقسميها المنشورين في [الفرات النجفية] الغراء:

حين نتحدث عن الرجال فحديثنا صدى لقيم الرجولة التي يحملها اولئك الرجال حتى يكونوا اعلاما شاخصة على قمم المجد السوامق يشار اليها بالقلوب بله البنان، وهل رجل الساحة العلمية اليوم غير العلامة المتوهج علما وابداعا.. المتألق في دنيا المعرفة الموسوعية.. المتحدر من اصلاب اولئك الافذاذ من ال الخليلي الذين اصموا اذن الدنيا بالضجيج على مدى قرون خلت.. اولئك الذين آسوا الجراح، وتمثلوا هموم الناس فأحبهم من عرفهم ومن لم يعرفهم حتى لقد صار التسمي بهم، او مصاهرتهم والانتساب اليهم معلما من معالم المجد الاجتماعي يتمناه كل انسان؟

جميل جدا ان تتوارث العائلات والاسر علما من العلوم وكانه ميزة ميزها الله بذلك العلم دون غيرهم من الاسر فكم قرأنا عن عائلات طغت الفقاهة او الشعر او الادب او المنطق والكلام او الفن ــ أي فن ــ او التجارة او الحكمة على جل افرادها، فامتازت في المجتمع من بين الاسر بتلك الميزة او الموهبة التي انعم الله به عليها، وان كنا لا نذهب المذهب القائل بان الحكمة (الطب) في هذه الاسرة جملة من الاسرار المتداولة والمحفوظة والمحتكرة كما كان عليه الطب قبل (ابقراط) في تلك الحقبة الزمنية التي كانت فيه هذه المهنة من الاسرار الخفية بين الاباء والابناء يتعلمها الصغار من الكبار بالرموز والالغاز والتدريب غير المدون كي لا يفهمه الاخرون، ولا يستطيع علم دراسة الاجناس البشرية (الانثروبولوجيا) ان يضع اقيسة دقيقة ومتوازنة لهذا الميل الاسري الى جانب محدود من العلم دون غيره حتى لكأن قوانين مندل في الوراثة ترتسم واضحة نحو ذلك الاتجاه فيكون ميل تلك الاسرة الى ذلك الجانب من العلم صفة متغلبة نقية تنتقل بالجينة والكروموسوم (والامر ليس كذلك) لتنطبق عليها قوانين الوراثة، هكذا يخيل لمن يدرس تلك الاسر المتميزة المختارة، والاسرة

الخليلية (الثقفية) التي خدمت ابناء العراق كله وفي احلك الظروف خلال اكثر من سبعين حكيما عربيا قديما وطبيبا اكاديميا من خريجي معاهد الطب الحديثة، فضلا عن جمهرة من المجتهدين في الدراسات الفقهية والاصولية والعلوم الطبيعية الحديثة، ويعتبر الحجة الشيخ حسين الخليلي المتوفي 1326هـ / 1909م في مقدمة اولئك الرجال الافذاذ الخالدين وهو العلم البارز من بين الذين ناصروا ودعوا الى الديمقراطية من خلال جماعة (المشروطة) وحارب الاستبداد، فكانت لآرائه، اصداء طيبة في المجتمع وقد اشادت الوثائق السياسية التي ارخت لتلك الحقبة العصبية وكانت لهذا الامام الراحل مبرات كثيرة منها تأسيسه لمدرسة دينية كبرى ظلت مركز اشعاع فكري قرابة ستة عقود من الزمن، ومن اعماله الخيرية التي تذكرها مصادر تاريخ النجف في مفتتح القرن العشرين وسعيه لإيصال مياه الشرب من الفرات الى مدينة النجف بعد ان كانت الابار هي المصادر المعتمدة في ذلك. وصف الشيخ جعفر محبوبة الاسرة الخليلية في كتابه ماضي النجف وحاضرها ج3 ص220 ط2 بقوله: (عليهم تدور رحى المعالجة والتداوي، وهم خبراء نطاسيين ماهرون وكانوا محل وثوق واطمئنان من اهالي النجف وهم أرأف بها من الأم الحنون، يرحمون الكبير، ويعطفون على الصغير ويصلون الفقير بأموالهم) ومن بين هؤلاء الفضلاء الاعلام الذين انجبتهم الاسرة الخليلية اليوم الحكيم الموهوب الاستاذ الدكتور (عبد الهادي الخليلي) نجل الحكيم المربي والعشاب المشهور في مدينة الكوفة واطرافها الحاج محمد صالح المتوفي عام 1978 والذي اقترن اسمه بالجهد المتميز الذي نهض به في معالجة المصابين بالهيضة عام 1931 فيذكره اهالي الكوفة والنجف كلما ذكرت سنة الوباء تلك .

ظهر نبوغ الحكيم عبدالهادي منذ صباه عندما ادخل الابتدائية فكان يسأل اساتذته اسئلة تنم على قدرات عقلية خارقة تنبأ له أساتذته بان يكون ذا شأن في المستقبل ويحظى بمكانة علمية يغبط عليها، وفي المرحلة الثانوية كان كذلك فهو المتقدم على اقرانه وهذا ما وجدته في وثائقه المدرسية وما تحدث به زملاؤه، وفي مرحلة الجامعة عندما اختار كلية الطب بجامعة بغداد ليكمل مشواره العلمي فيها فكان هو كما عهدناه في المراحل السابقة، فهو الاول على خريجي الكلية عام 1966 وقد حاز اعجاب اساتذته من كبار الاطباء، لم يكتف عند هذا الحد من التحصيل بل سعى الى شق طريقه المعرفي ليتخصص في حقل من حقول الطب فاختار الطريق الصعب والتخصص الدقيق فخاض غمار الدراسات الطبية التطبيقية العلمية وابدع فيها لما له من قابلية تفي التفكير والابداع فاستطاع ان يقدم كل شيء مبتكر يلفت نظر اساتذته العلماء والأجانب والمتخصصين في العالم، ان الطب عند الخليلي علم وفن واخلاق يرتبط بالإنسان وانسانيته مباشرة .. بحياته ووجوده.. بأفكاره وسلوكه، والطب فن لأنه يعتمد على اسلوب خاص في التعامل الانساني بين الطبيب والمريض وذوي المريض هكذا يجمع الطبيب القدوة بين العلم والخلق والتقوى، ولأن العلم علمان كما يقول القائلون: علم الابدان وعلم الاديان وكل واحد منهما يشكل ركيزة للآخر، فاذا كان عالم الابدان متجردا من

الايمان وبعيدا عن المنهج الروحاني كان علمه ناقصا ولان جراحات الابدان لا تختلف عن جراحات الاديان. وتاسيسا على ذلك فالعلم والخلق والتقوى هي الاسس التي يرتكز عليها الطبيب الانساني الحق في عمله وهي لازمة من لوازم نجاحه وسموه واخلاصه، وهكذا كانت هذه المرتكزات هي السمات التي بنى عليها الدكتور الخليلي نظام حياته وطبيعة مسيرته المهنية والاجتماعية والسلوكية العامة وهو ما سنجمله في الحديث الذي دار بيني وبين تلامذته طلاب الدراسات العليا في المستشفى التي يشرف فيها على طلابه من الاطباء الجدد.. ان الطبيب النطاسي القادر على انجاح مهمته العلمية هو الذي لا يقف عند حد معين في الدرس والبحث والمواصلة مع المستجدات الحديثة في مجال الدراسات الطبية ولم يعتمد على العلم المجرد ايضا، بل يمزج بين ما هو حاصل وموجود، وبين ما هو آت ومستحدث ويمزج هذا العلم التجريبي والتطبيقي والنظري مع تجارب الحياة المستمدة من واقع المجتمع والبيئة والظروف العامة، وهذا ما هو حاصل عند الحكيم الخليلي.

سعى منذ فترة الى القيام بعمليات متميزة ومبتكرة في مجال تخصصه، فقد قام بعملية زرع النخاع الشوكي بالاشتراك مع زميله الاستاذ الدكتور محمود حياوي واجريت العملية بنجاح تام على الحيوانات الصغيرة والكبيرة وابتدأ تطبيقها على الانسان بالرغم من المعوقات التي تقف في طريقها بسبب ظروف الحصار الجائر.

وقد اشادت في هذا الموضوع المجلات الطبية العربية والاجنبية ووصفته بالعمل المبتكر الرائد الجبار.

اما المجهود العلمي الطبي الاخر هو زرع انبوب صناعي في شريان دماغ الانسان لعلاج تشوهات وعائية دموية دماغية بالاشتراك مع الدكتور طالب خير الله مجول، فضلا عن مجهودات طبية سابقة تتعلق بتخصصه الدقيق منها : ابتكاره الالة البغدادية لاستخراج الاكياس المائية، كذلك جهوده المتواصلة في اظهاره للوجود تخصصا دقيقا لجراحة محجر العين الذي كان قد بدأه في الخمسينات والستينات من هذا القرن الاستاذ الدكتور حسين طالب، ويجري الاستاذ الدكتور الخليلي هذه العمليات من خلال عيادة اسبوعية استحدثها في مستشفى ابن الهيثم للعيون ثم سعى في نقلها الى مستشفى الجراحات عدنان خيرالله، وقد بلغ عدد الحالات التي تعامل معها حدا يضاهي اكبر مجموعة من هذه الحالات في هذا التخصص الدقيق، فضلا عن العمليات الجراحية الصعبة والمعقدة في الجراحة العصبية التي يجريها باستمرار في المؤسسات الصحية في العراق مستخدما احدث الطرق والوسائل الحديثة المتعلقة بعمله والتي يكتسبها من خلال رحلتين في العام او اكثر الى خارج القطر ليتقصى بنفسه التطورات العلمية الحاصلة في مجال الجراحة العصبية وجراحة محجر العين والتقنيات المستخدمة الحديثة المتعلقة بذلك ليطبق ما توصل اليه العلم الحديث من تطور وتقدم وعلاج لمرضاه بالرغم من الصعوبات والعقبات فيكون قد استثمر جهوده ودراساته واطلاعاته في التحصيل .

ونحن نعلم ان الطب يتطور كل يوم، وما يصلح اليوم قد لا يصلح كل يوم، وما يصلح اليوم قد لا يصلح في الغد وما كان في الامس اصـــبح تراثا طبيا اليوم وهكذا، اما اســـهاماته في التأليف والبحث فقد انجز كتابين نافعين في مجال تخصصـه هما: المعجم المختص في المصطلحات الطبية العصبية (الانكليزي ـــ عربي) مطبوع في بغداد 1992، والكتاب الاخر هو: الموجز المصـــور لفحص الجهاز العصـــبي، مطبوع في بغداد ايضـا 1992، ويضـع اليوم اللمسـات الاخيرة على تأليف كتابه: الجراحة العصـبية باللغة الانجليزية وتعهدت منظمة الصـــحة العالمية في طبع كتاب له: دليل علاج اصـــابات الرأس وســـيصـــدر قريبا، ومن كتبه التي اعتمدت في الدراسات العليا هو كتابه الموسوم بـــ الدليل لكتابة الاطروحة العلمية (بالإنجليزية)، هذا اضافة لعشرات الابحاث والمقالات التي نشرها في المجلات المحلية الطبية والعربية والعالمية وكانت موضـع اهتمام المؤسـسـات العالمية الطبية ومراكز البحوث المشـهورة في البلدان الاوربية والامريكية. وتثمينا لجهوده البحثية منحته جامعة بغداد وســاما باعتباره أفضـــل اســتاذ في الكلية الطبية (1994) ومنحه الاتحاد العام للأطباء العرب شـــهادة تقديرية كأفضـــل شـــخصـــية طبية علمية لعام (1997). اما المواهب الاخرى التي تميز بها الدكتور عبدالهادي فتتمثل في قدراته على اسـتثمار الحاسـوب في المجال الطبي وما توصـلت اليه الجهود الطبية في ارقى المؤسسـات الطبية في العالم لتكون برنامجا جاهزا قيد الطلب يستحضـره متى شاء ويتعامل معها بدقة علمية، ومن مشـــاريعه البحثية الرائدة في مجال التقنيات الهندســـية الطبية والتي تعتبر من الموضـوعات المبتكرة في العراق فقد اشـرف مع اخيه الاسـتاذ ضـامن الخليلي من قسـم الكهرباء في الجامعة التكنولوجية (1979) على اطروحة ماجســتير مقدمة من طالب دارس في موضـــوع التغذية الكلســـية للدماغ كأسـاس لعلاج نوبات الصـداع الشـديد، وتعتبر هذه الدراسـة من الدراسـات الرائدة الحديثة، كما اشـرف على رسالة علمية في استخدام الحاسوب في تشخيص الظهار (الام الظهرٍ، 1984) بالاشتراك مع الدكتور سلام ناصـــيف رئيس قســـم علوم الحاســـبات في كلية العلوم بجامعة بغداد، ومن اعماله العلمية ومنجزاته البحثية المعرفية انه اجرى تجارب طبية مع فريق اسـتشـاري هندسـي يقوده اسـتاذ عراقي هو الدكتور غسـان تحسـين لابتكار طريقة لعلاج الصرع كهربائيا، وبسبب ظروف الحصار تأخر انجاز المشروع، ونظرا لإنجازاته وتقديرا لجهوده شـــمل بقانون رعاية العلماء بدرجة (أ) لعام (1999)، وانتخب عضـــوا في لجنة البحوث الطبية في منظمة الصحة العالمية التي مقرها في الاسكندرية بجمهورية مصر العربية.

ولابأس ان اورد ملخصـــا لما حدثني به احد مســـاعديه وعدد من طلابه في الدراســـات العليا في كلية الطب بجامعة بغداد موضـحين تصـوراتهم وانطباعاتهم وشـارحين مبرات اسـتاذهم وما تعلموه منه في اكتسـاب العلم والبحوث والسلوك المهني: انه يأتي مبكرا الى المستشفى قبل غيره ويتفقد المرضى ويسأل عن احوالهم ويناقش طلابه ويتحاور معهم ويوفر لهم المجلات المتخصصة والكتب الحديثة وذلك عن طريق التصوير حيث سعى

وبجهوده الشخصية الى توفير جهاز استنساخ من احد اصدقائه الميسورين ووضعه تحت متناول طلبته يستنسخون الابحاث بالمجان وهذا جزء من احتضانه لطلابه ومتابعته لدراساتهم.

كذلك استطاع ان يدعم المكتبة الصورية ويزودها بالأفلام الطبية الحديثة والتي تصله بصورة شخصية ويحصل عليها اثناء انعقاد المؤتمرات الطبية في الخارج، وبذلك استطاع المحافظة على المستوى العلمي والتنظيمي في ظل الظروف الصعبة. اهتم وبحرص شديد على طبلات المرضى لمساعدة طلابه الاحد عشر في اجراء ابحاثهم ودراساتهم لنيل شهادة البورد واتباع احدث الوسائل الجارية في المؤسسات الطبية الحديثة في العالم، واخيرا يواصل بذل مساعيه من اجل استضافة الاطباء العلماء الاجانب ودعوة المغتربين العراقيين لالقاء محاضرات على طلابه من اجل تطوير معلوماتهم وتمكينهم من النجاح في دراستهم، وقد اثنى على جهوده كل الاساتذة الزائرين لما وجدوه من حرص الاستاذ واخلاص الطالب الذي استمده من استاذه الذي لم ينفك في تغذية تلامذته بالجديد والقيم من البحث الطبي ولم يبخل عليهم بما شاهده وربما قاله الاخرون في مؤتمرات العالم ليغذي بها طلابه اسوة بما كان يفعله العلماء العرب مع طلابهم حينما آثروهم على انفسهم وانزلوا طلابهم منزلة حسنة ومقابل ذلك فعل التلميذ مع استاذه الحكيم، ولنا في الزهراوي وابن النفيس واضرابهم امثلة حية، واما المواهب الاخرى التي حازها التي تعتبر خارج دائرة اختصاصه فهي متعددة، فللادب سهم وافر فيها، وللثقافة العامة ومتابعة تراث العرب في الطب والحكمة والتاريخ فله سهم وافر، وحتى القضايا المتعلقة ببعض الاحكام الشرعية في مسائل ناتجة عن عمله الطبي التخصصي، فمثلا موضوع موت الدماغ وهو موضوع طبي، لكن تبنى على ذلك مسألة تتعلق بحكم شرعي مهم هل ان موت الدماغ يعني موت الانسان ؟ ام لا؟ فلكل جواب حكم، فقد استطاع وبقدرة فائقة ان يبني في هذه القضية وهذا ليس بالأمر الهين بان يجتهد في مسألة تخص غيره، ولكن اطلاعه ومتابعاته الكثيرة وتنقيره في بطون الكتب الفقهية تمكن من ان يورد والشرعية في ان واحد.

وعلى العموم فكتاباته بالعربية تعد النموذج الحي للأسلوب الادبي الرصين، ودقة التعبير، وحسن اختيار المفردة، وسلامة العبارة من وضوح الفكرة، ويمكن استشراف ذلك من خلال حديثه العابر الشفوي الذي ينساب كالسلسل العذب فيفرض فيه على محدثيه احترامه ويشدهم اليه حديثه السلس شدا يشتاق السامع لإتمامه ولايمل من صعوبة مصلحته وثقل مفردته.. انه جملة مواهب.. باقة اخلاق.. حزمة كمالات انسانية.. سلسلة امجاد ذهبية.. منجم عادات وتقاليد وتراث ساحق ليس بالمستطاع بلوغ قلله.. ذلك هو الانسان المواسي لكل المرضى.. والمخفف عنهم الام معاناتهم، والمطبب جراحاتهم بمبضعه، وروحه، وسلوكه، وانسانيته.. انه العقل الراجح والبصيرة النفاذة.

الصور الملحقة بالكتاب

والده الشيخ محمد صالح محمد رضا (1900–1978)

عبد الهادي الخليلي 1955

آل الخليلي مع بعضهم البعض

مدرسة الخليلي الكبرى

بطاقة جواز الاشتراك في الامتحانات العامة

مع عائلته في ربوع لبنان

الرئيس عبد الرحمن عارف يكرم الخليلي لتخرجه

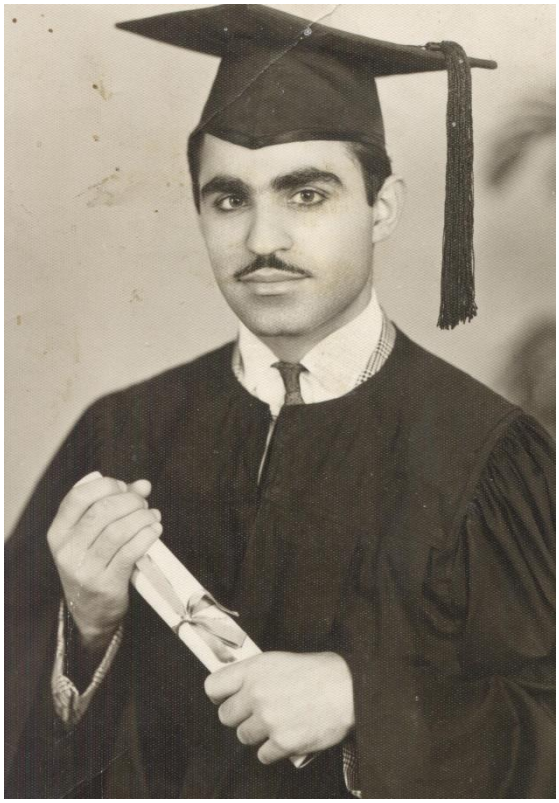

الخليلي الخريج الاول

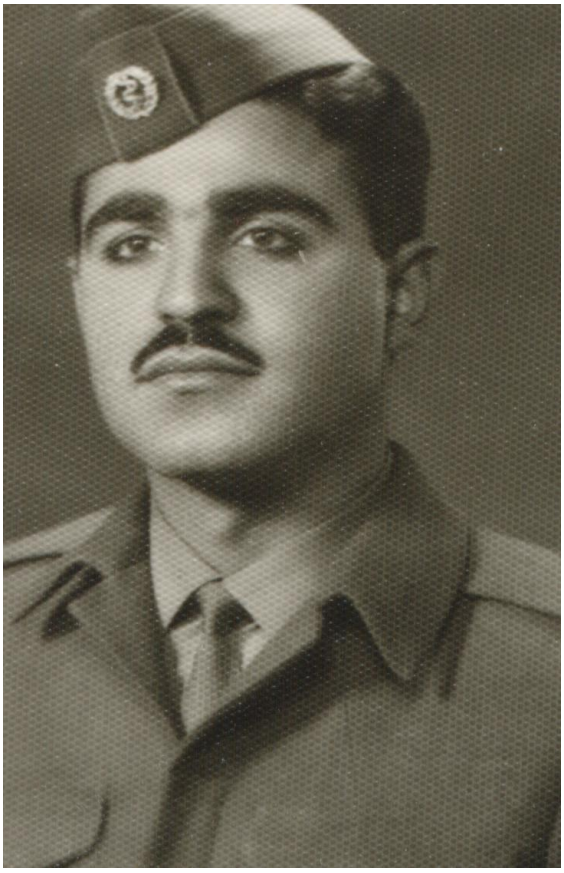

عندما كان ضابطا

الخليلي أمام مستشفى حماية الأطفال في بغداد

المحامي الأستاذ صادق الخليلي (1912-1981)

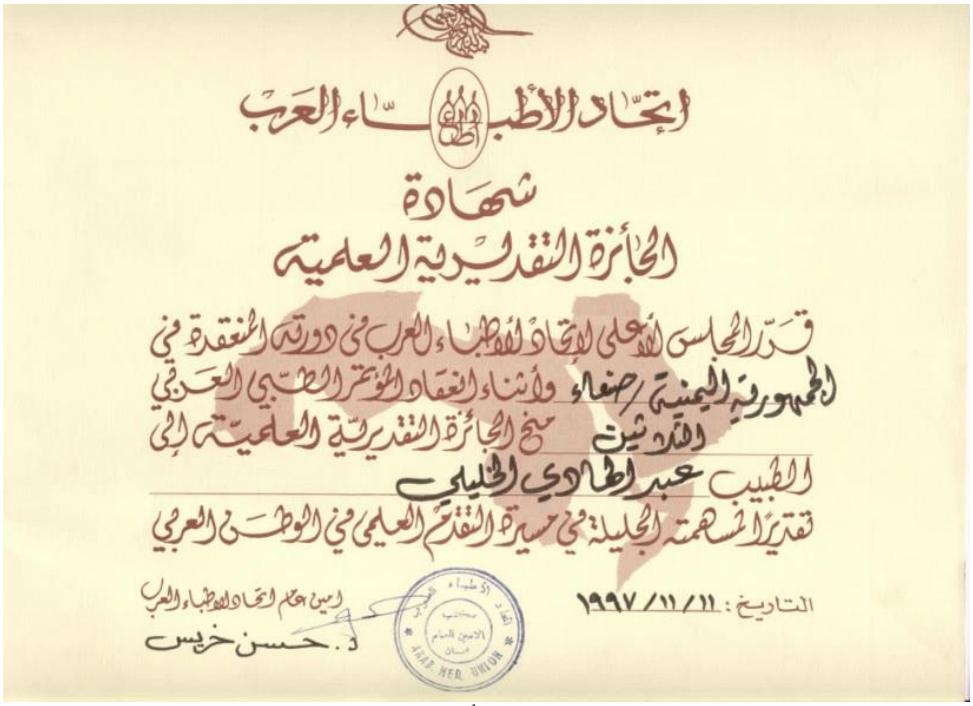
اتحاد الأطباء العرب

شهادة

الجائزة التقديرية العلمية

قرر المجلس الأعلى لإتحاد الأطباء العرب في دورته المنعقدة في الجمهورية اليمنية / صنعاء وأثناء انعقاد المؤتمر الطبي العربي الثاني منح الجائزة التقديرية العلمية إلى

الطبيب عبد الهادي الخليلي

تقديراً لمساهمته الجليلة في مسيرة التقدم العلمي في الوطن العربي

التاريخ: ١٩٩٧/١١/١١

أمين عام اتحاد الأطباء العرب

د. حسن خريس

جائزة اتحاد الأطباء العرب

(١)

لهذا هو الدكتور الخالد الذي سوف لمسه
أساه مدى الحياة . انه هو الذي خط
لي مستقبلي السعيد "ث ر ا" . هو
الذي غير مجرى حياتي ووجهها نحو هدفي
المرسوم من قبل . انه الكونه طبيباً جراحاً
وهو كذلك دائماً

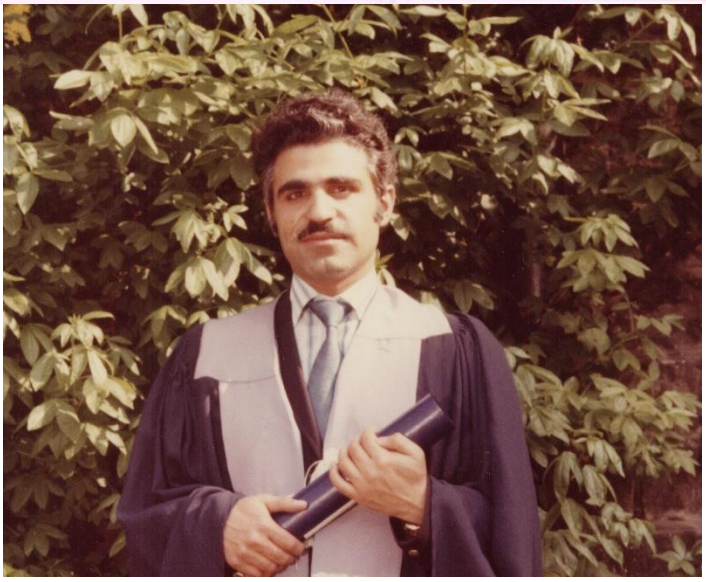

اللجنة الوطنية المصرية
(يونسكو - ايكو - ايسيسكو)
الإجتماع العربي الخاص
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(اليكسو)
باستراتيجية نشر الثقافة العلمية والتقانية في الوطن العربي
تحت رعاية

اللجنة الوطنية المصرية للتربية والعلوم والثقافة
(يونسكو - اليكو - اليسكو)
الإجتماع العربي الخاص
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
(اليكسو)
باستراتيجية نشر الثقافة العلمية والتقانية في الوطن العربي
تحت رعاية

بحضور الأستاذ قائد حسين العوادي محافظ النجف
تعقد نقابة الأطباء فرع النجف وبالتعاون
مع دائرة صحة محافظة النجف و كلية الطب جامعة الك
مؤتمر النجف الطبي الثالث
٤ نيسان ٨٩

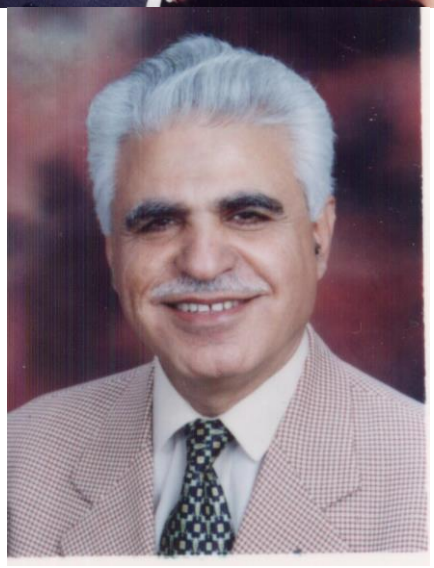

مركز
جراحة
محجر العين
تأسس عام 2002
CENTRE
FOR
ORBITAL
SURGERY
ESTAB. 2002

10th
Asian-Australasian Congress of
Neurological Surgery
November 7-12, 1999

بسم الله الرحمن الرحيم
تكلس الغدد الصنوبرية في العراق
اللجنة الامتحانية
الاستاذ الدكتور عبد الهادي
الدكتور مهدي ابراهيم
الدكتور عبد القادر
الدكتور عصام الحاتم

بلى.. إنه الخريج الأول - Windows Picture and Fax Viewer
start
1:31 AM